الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام
مديرية الآثار العامة
بغـــداد

سومر

مجلة علمية تبحث في آثار الوطن العربي وتاريخه

الجزء الاول والثاني | ١٩٧٣ | المجلد التاسع والعشرون

General Organization Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

ثبت الجزء

الصفحة		
أ	تقديم	الدكتور عيسى سلمان
٣	نظرة في عملية تدجين النبات والحيوان	سعدي الرويشدي
١٣	التنقيب في قاليج أغا (أربيل) الموسم الرابع (١٩٧٠)	اسماعيل حجارة
٣٥	عشتار وتموز جذور المعتقدات الخاصة بهما في حضارة وادي الرافدين	الدكتور فاضل عبدالواحد علي
٧١	حركة تحررية في فترة عصور ما قبل التاريخ وعلاقتها بالفن السومري	الدكتور فوزي رشيد
٨٣	بحث في الامثال العراقية دراسة مقارنة لامثال المجتمع العراقي القديم والمعاصر	الدكتور عبدالهادي الفؤادي
١٠٧	دراسة تحليلية للتأثير البابلي في آثار تيماء	الدكتور صبحي انور رشيد
١٥١	هرقل ـ جندا (اله الحظ في الحضر)	الدكتور واثق الصالحي
١٥٧	معبودات الحضر	جورج حبيب
١٧١	تنقيبات البعثة الآثارية في منطقة مليحه ـ الشارقة ـ دولة الامارات العربية المتحدة	الدكتور طارق مظلوم
١٨٣	فخـار حفريات منطقة مليحه ـ الشارقة ـ دولالة الامارات العربية المتحدة	منير يوسف طه
١٩٧	سقايا بغداد	عطا الحديثي
٢٠٧	مميزات الزجاج العراقي في العصور الاسلامية	هناء عبدالخالق
٢٢١	ملابس الندامى في العصر العباسي	الدكتور صلاح العبيدي
٢٢٩	نقود الدولة الجلائرية المحفوظة في المتحف العراقي	مهاب البكري
٢٤٥	جامع الحيدرخانة عمارته وموضعه	أسامة النقشبندي
٢٥٧	معالجة صدأ النحاس والبرنز	علي النقشبندي
	التقارير والانباء والمراسلات	
٢٦٧	اقتصاد دولة سومر	ترجمة ـ سليم طه التكريتي
٢٨٩	من تاريخ الفترة الآشورية في القسم الجنوبي من العراق	ماجد عبدالله الشمس
٢٩٩	منجزات ومشاريع مديرية الآثار العامة	صادق الحسني

عشتار وتموز
جذور المعتقدات الخاصة بهما
في
حضارة وادي الرافدين

الدكتور فاضل عبدالواحد علي
قسم الآثار ـ كلية الآداب
بغـــداد

تناولنا في بحث سابق لنا عن « أعراس تموز ومأساته » (سومر المجلد ٢٨ ص ٥٣ ـ ٨٥) ما يعرف بطقوس « الزواج المقدس » و « الحزن الجماعي » التي كانت تعبيرا عن بعث وموت الاله الراعي دموزي (تموز) • ويتناول البحث الحاضر[1] الهة الخصب ان ـ انا (عشتار) التي جعل العراقيون القدماء منها حبيبة وزوجة للاله دموزي والتي احتلت المعتقدات والطقوس الخاصة بها وبزوجها حيزا كبيرا عبر العصور المختلفة من حضارة وادي الرافدين • ولذلك فسوف يتضمن البحث استقاءً لجذور المعتقدات المتعلقة بهذه الالهة وبالاله دموزي منذ أقدم العصور مع متابعة استمرارها وتطورها حتى آخر الادوار الحضارية • ومن خلال ذلك كله فاننا سنأتي على ذكر عرض سريع ومختصر لنشوء معتقدات وطقوس الخصب بين انسان عصور ما قبل التاريخ وانتقالها الى انسان العصور التاريخية اللاحقة في بلاد سومر واكد • وسنأتي أيضا على ذكر ومناقشة الرأي القائل بان عبادة آلهة الخصب ان ـ انا في وادي الرافدين انما تعود أصلا الى جذور سامية ، وعلى مناقشة الفرضية القائلة بان اله الخصب دموزي كان

---

(١) من المؤمل ضم هذا البحث الى بقية البحوث الاخرى التي سبق وان اعدها الكاتب عن المعتقدات والطقوس الخاصة بالآلهة ان ـ انا (عشتار) وبالاله دموزي (تموز) لنشرها في كتاب تصدره وزارة الاعلام •

بالاصل ملكا دنيويا من ملوك سلالة الوزكاء الاولى وانه أله من خلال طقوس الزواج المقـدس • وسنأتي أيضا على ذكر الخصائص والصفات التي خلعها السومريون والبابليون على الالهة ان ـ انا (عشتار) وعلى الاله الراعي دموزي والتي عبروا عنهـا على القطع الفنية وفي الكتابات المسمارية • وأخيرا فسيتضمن البحث أمثلـة مختارة على استمرار عبـادة ان ـ انا (عشـتار) في وادي الرافدين منذ أقدم العصور وحتى آخر الادوار التاريخية حسب تسلسلها الزمني •

هناك حقيقة واضحة ادركها الانسان منـذ عصور قديمة جدا وهي ان بقاءه مرهون بشيئين اثنين : أولهما الغذاء وثانيهما التكاثر • فبـدون الغذاء يموت الانسان وبدون التكاثر يفنى جنسه الى الابد ، ولذلك فقد كان لخصب الطبيعـة ، كوفرة المياه وكثرة النباتات والحيوانات أهميـة بالغة بالنسبة للانسان حتى انه احتل حيزا كبيرا من العقيدة السحرية ـ الدينية سواء في عصور ما قبل التاريخ أو في العصور التاريخية •

وقد لاحظ الانسان منذ أزمان بعيدة ان هذه الطبيعة بخصبها ووفرة مياهها وكثرة حيواناتهـا كثيرا ما تتغير وتتقلب فيحل فيهـا الجدب بدل الخصب عنـدما تجف الينابيع وتذوى الاعشاب وتختفي الحيوانات وأخيرا يصبح من الصعب على الانسان الحصول على غذائه وآنذاك يتهدد وجوده بالفنـاء • وتجسمت خطورة مثل هذه التغيرات بالنسبة للانسان خاصـة في العصور التي سبقت توصله الى معـرفة الزراعة وتدجين الحيوانات وهي الفترة المعروفة بجمع القـوت والتي كان الانسان خلالها يحصل على غذائه بطريقة جمعه وليس بانتاجه •

وفي خلال مرحلة من مراحل تطور الانسان الفكري تصـور ان في مقدوره تسـخير الطبيعة لصالحه ليستطيع من خلال ذلك تفادي النتـائج السـلبية التي قـد تؤدي اليهـا تلك التغيرات • وكانت هذه بداية الاعتقاد بقوة السحر القائم على مبـدأ التشبيه والذي يهدف الى استحداث الشيء بتقليد عملية حدوثه • ولهذا السبب كان الانسان يقيم طقوسـا سـحرية يتقمص من خلالهـا دور ظاهرة طبيعية معينة أو شيئا معينا ممـا أصبحت الحاجة ملحة الى وجوده كأن يكون نزول المطر أو ظهور الشمس أو تزايد الماشية •••

ان الادلة الاثرية على وجـود العقيـدة السحرية ـ الدينية عند الانسان ترجع الى العصر الحجري القديم غير انها من دون شك لا تمثـل أقدم أطوار تلك العقيدة ، اذ ينبغي ان تكون قد سبقتها أزمان قبـل ان يهتدي الانسان الى تسجيلها أو التعبير عنها بشكل ملموس • فقد عثر في كهوف فرنسا واسبانيا على رسومات بالالوان تمثل أنواعا مختلفه من الحيوانات والطيور والاسماك التي كان الانسان يصطادها لغذائه • ولاشك في ان رسمها كان بدافع سحري اذ اعتقـد انسـان العصـر الحجري القديم ان وجود صورها على جدران الكهف سيجعل الحيوانات ذاتهـا تحت سيطرته ايمـانا منـه بالمنطـق السحري القائم على مبـدأ التشبيه • ومن الجدير بالذكر ان هذه الرسومات تعود الى العصر الحجري القديم وعلى وجـه التحديد الى الدور المجدليني الذي يقع تاريخه بين ٣٥ ـ ١٢ ألف سنة قبل الآن • واعتقادا منه بنفس المبـدأ فقـد صنع الانسان في هذا العصر

منحوتات صغيرة على شكل الدمى من العاج والعظام والحجر والطين يمثل قسما منها نساءً حبالى والراجح ان مثل هذه الدمى كانت تُعمل لغرض التشبه بالقوى الخلاقة في الطبيعة التي جسدها الانسان « بالام » والتي أصبحت تعرف فيما بعد بالالهة الام[٢] .

ولكن وبمرور الزمن بدأ الانسان يتصور بان هذا الكون وما يحتويه من مظاهر طبيعية مختلفة انما يسيطر عليها قوى خفية هائلة وان تقلب وتغير مظاهر الطبيعة انما يعزى الى تلك القوى نفسها . وعندما جسد الانسان القوى المهيمنة بهيئة آلهة تصورها قياسا على البشر بجنسين « مذكر ومؤنث » ، فقد كان منطقيا أن يعزو كل مظاهر الخصب والتكاثر في الطبيعة بما في ذلك تكاثر الانسان والحيوان والنبات الى قوى الخصب الالهية المتمثلة بالالهة الام (التي عرفت فيما بعد تحت اسم ان ـ انا أو عشتار) وباله الخصب (دموزي أو تموز) . وكان منطقيا بالمثل ان يعزو أيضا كل مظاهر الجفاف والنقص في الخيرات كاصفرار العشب وتعرة الامطار وقلة اللبن في الماشية الى اختفاء (أو موت) اله الخصب في العالم السفلي . ولذلك أيضا فقد أصبح طغيان المياه في موسم الفيضان السنوي في نظر انسان العصور القديمة انعكاسا لغضب آلهة المياه الازلية القديمة (ابسو وتيامة) وان انحسار مياه الفيضان كان دليلا على اندحارها أمام قوى الآلهة الحديثة . وسنرى في موضع لاحق من هذا البحث كيف ان هذا الربط بين الظواهر الطبيعية وبين القوى الالهية أدى في العصور التاريخية اللاحقة الى ظهور جملة من الطقوس المهمة والتي كان من ابرزها في مجال عقيدة الخصب ما يعرف بـ « الزواج المقدس » و « الحزن الجماعي على موت الاله » وفي مجال العقيدة الخاصة بخلق الكون والانسان ما يعرف « بقصة الخليقة واحتفال رأس السنة » .

وعلى الرغم من ظهور هذه التفسيرات وغيرها للتغيرات في الظواهر الطبيعية فان الاعتقاد بقوة الطقوس السحرية لم تختف اطلاقا ، اذ بقي

---

(٢) عثر في عدد من كهوف فرنسا واسبانيا على رسوم صنعها انسان العصر الحجري القديم محفورة او مرسومة بالالوان على الجدران تمثل حيوانات مختلفة مثل البيزون ، الثور ، غزال الرنة ، الدب الخنزير ، وحيد القرن ، الحصان الماموث ... وتمتاز هذه الرسوم بواقعية مدهشة وعثر في احد كهوف وادى Beune في مقاطعة Dordoge على صور آدمية بعضها محفورة على الحجر . ومن ذلك صورة تمثل امرأة عارية حبلى تحمل في يدها قرن بيزون وقد لونت باللون الاحمر ، وهو اللون الذي استعمله انسان العصر الحجري القديم في الرسومات ذات المغزى الطقسي لترمز الى الدم مصدر الحياة . ولاشك في ان مثل هذه الرسومات تتضمن مغزى يتعلق بعقيدة الخصب والانجاب والتكاثر . وقد ترك انسان هذا العصر ايضا مشاهد اخرى مما له علاقة بالطقوس السحرية للتأثير في الحيوانات من أجل صيدها أو تكاثرها ومن ذلك مشاهد رقصات تنكرية ـ طقسية والتي من بينها صور عثر عليها في كهوف مختلفة تمثل سحرة في ازياء تنكرية حيوانية . حول المفاهيم السحرية ـ الدينية لهذه الرسوم والخاصة بالالهة الام يراجع :

James, The cult of the Mother Goddess, (1959), pp. 13ff;

Malafiji, Religion and Culture (Second edition, 1956), pp. 118ff.

Augusta-Z. Burian, Prehistoric Man, (1964), p. 44-45.

الانسان يعتقد بأن في مقدوره أن يسهم في استحداث تلك التغيرات التي من شأنها ان تساعد اله الخصب المحتجز أو الميت في العالم السفلي في صراعه مع القوى الشريرة ليعود ثانية وتعود معه الحياة الى الارض • وعلى هذا النحو امتزجت العقيدة الدينية القائلة على سبيل المثال ، بموت وبعث اله الخصب بالعقيدة السحرية القديمة القائلة بامكان استعادة الاله من الموت[٣] • ومن هنا أيضا نشأت فكرة « الدراما السنوية » التي كانت تجري خلالها طقوس هي في حقيقتها تقليد أو محاكاة للآلهة نفسها ، سواء في زواجها (وهو ما عرف فيما بعد بطقوس الزواج المقدس) أو في موتها وبعثها (طقوس الحزن الجماعي لموت الاله) أو في صراعها مع بعضها الآخر وخلقها الكون والانسان (طقوس الخليقة) •

وبقدر ما يتعلق الامر بوادي الرافدين ، فان الادلة على وجود العقيدة الخاصة بالآلهة الأم بين السكان تعود الى أقدم المستوطنات الزراعية المعروفة لحد الآن • اذ عثر في جرمو التي يرقى زمنها الى الألف السادس قبل الميلاد على مجموعة من الدمى يمثل قسم منها نسوة حبالى مع سمنة مفرطة في الارداف رمزا للخصب • وقد عثر على نماذج مماثلة للآلهة الام في مواقع أخرى تعود الى الفترات اللاحقة من العصر الحجري الحديث مثل تل الصوان وحسونه وحلف والعبيد • والى جانب دمى الألهة الام ، فقد عثر في حسونه ، وهي قرية من العصر الحجري الحديث قرب الموصل ، على بعض الاواني الفخارية التي ربما كانت تحتوي بالاصل على الاكل والشراب ليتزود منها الميت مما قد يدل على اهتمام الانسان بمصيره بعد الموت • اما في عصر حلف اللاحق فالملاحظ في دمى الطين انها كانت تتصف بالاضافة الى السمنة عند الارداف ، بثديين كبيرين ممتلئين تحيط بهما اليدان من الاسفل • ثم ان الدمى للألهة الام في هذا العصر كانت تزين بخطوط افقية على الجسم والرأس وكأنها خطوط من الوشم • هذا وقد لاحظ الاستاذ ملوان من خلال تنقياته في تل اربجية بان وجود دلايات من الحجر على شكل رأس وظلف الثور ووجود الرسومات الكثيرة لرأس الثور على فخار عصر حلف ، يشير الى ان الثور كان في نظر سكان ذلك العصر (في حدود ٤٢٥٠ قبل الميلاد) رمزا للعنصر المذكر في الطبيعة وانه اعتبر نظيرا للآلهة الام[٤] • ولاشك في ان هذه الملاحظة جديرة بالاعتبار ذلك لان الثور أصبح فعلا في العصور التاريخية احد القاب اله الخصب دموزي (تموز) •

ان هذه الصورة للآلهة الام كما تمثلها دمى الطين من عصور ما قبل التاريخ استمرت خلال العصور التاريخية اللاحقة في الوركاء وجمدة نصر وفجر السلالات •• واذا كنا نجهل الاسم الذي اطلقه سكان عصور ما قبل التاريخ على الهتهم الأم لانعدام الكتابة آنذاك ، واذا كنا أيضا نجهل مضمون الدعوات والصلوات التي كانت ترفع لها والطقوس التي كانت تقام من اجلها ، فان في حوزتنا

---

(٣) Frazer, The Golden Baugh, part I, Vol. 1, pp. 3ff.

(٤) Mallowan, Twenty Five years of Mesopotamian Discovery, p. 5.

تفصيلات كثيرة ووافية عن كل ذلك في العصور التاريخية • فقد ترك سكان وادي الرافدين ، السومريون والبابليون والآشوريون تآليف كثيرة كالاساطير والدعوات والمناجات والقصص التي يستطيع الباحث من خلالها ان يعرف معلومات وافية عن الالهة الام ، التي سماها السومريون ان ـ انا (Inanna) ملكة السماء) والساميون عشتار ، وعن المعتقدات المتعلقة بها وبزوجها اله الخصب • ومما تجدر ملاحظته بهذا الصدد ان الصورة التي تخيلها الانسان للآلهة الام في وادي الرافدين ومثلها على دمى الطين في حدود ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد بقيت هي ذات الصورة التي يمكن ان تجدها في رقم الطين المسمارية عن الألهة الام بعد خمسة آلاف سنة أو أكثر من هذا التاريخ • فالاسطر التالية التي نقتبسها من دعاء سومري كتب الى الآلهة ان ـ انا (الألهة الام عند السومريين) في حدود ١٨٠٠ ق•م• تذكرنا بالدمى التي تحدثنا عنها قبل قليل والتي عبر من خلالها انسان عصور ما قبل التاريخ عن الخصب بالسمنة المفرطة والثديين الكبيرين • فالآلهة ان ـ انا هي أيضا مصدر الخصب : الماء والنبات والحنطة والخبز ••• تتدفق كلها من « ثدييها » •

« ايتها السيدة ، ان ثديك هو حقلك ،
وحقلك الواسع الواسع الذي « يسكب » النبات ،
وحقلك الواسع الممتد الذي « يسكب » الحنطة ،
والماء متدفقا من العلى ـ للمولى ـ والخبز من العلى •
الماء متدفقا من العلى ـ للمولى ـ والخبز من العلى •
اسكبي للمولى المأمور ليشرب منك »[٥]

لا شك في ان التراث الحضاري لوادي الرافدين يحمل في بعض مظاهره رواسب هي أقدم بكثير من السومريين والساميين الاوائل الذين تقرن بهم حضارة العراق الاصيلة • اذ ان هناك من الدلائل ما يشير الى وجود قوم سبقوا السومريين والبابليين في استيطان جنوب وادي الرافدين والى وجود مدن وقرى عامرة فيها كثير من الحرف والصناعات الاولية التي تناسب والمجتمع الزراعي آنذاك• غير ان انعدام الكتابة في الفترة التي سبقت ٣٢٠٠ قبل الميلاد يجعل من الصعب جدا التعرف على هوية القوم أو الاقوام التي سبقت استيطان السومريين والساميين في النصف الجنوبي من العراق • ويظهر من البحوث المتأخرة ان السومريين والساميين أخذوا واستفادوا كثيرا من انجازات من سبقهم كما تدل على ذلك كثير من الكلمات والمصطلحات الدخيلة في اللغة السومرية والاكدية • ولنا ان نستنتج من دون تردد أن التأثيرات لم تقتصر على الجانب اللغوي فحسب ، بل شملت استعارات أخرى في مظاهر اجتماعية وعقائدية[٦] •

ويمكن القول بصورة عامة ان المفاهيم والعناصر الحضارية التي استمد منها التراث

(٥) Kramer, "Cuneiform Studies and The History of Literature: The Sacred Marriage Texts", PAPS, Vol. 107, No. 6 (1963), p. 102.

(٦) من الاراء التي طرحت في السنوات الاخيرة حول المشكلة السومرية والتي نالت تقبلا في بعض الاوساط العلمية المعنية بالدراسات الاثرية ـ

العـراقي القديم طابعـه الاصيل المميز لـه بين حضارات العالم القديم ، تعود بصورة رئيسة الى السومريين ثم الساميين الذين عاشوا متجاورين في النصف الجنوبي من وادي الرافدين منذ ما يقرب من ستة آلاف سنة • وعلى الرغم من ان العراق تعرض في عصور مختلفة الى غـزو وحكم أقوام غريبة أخرى ، فان حضارته حافظت على شخصيتها المميزة كما انها ، اضافة الى ذلك ، اثرت بصورة واضـحة في جوانب مختلفة من حيـاة الاقوام الغـازية • واذا ما حاولنا فحص مقومات التراث الحضاري لوادي الرافدين بقصد تقويم دور كل من السومريين والسـاميين فيظهـر انـه كـان للسومريين الفضل في وضع « البدايات » في حقل الآداب والعلوم في حـين كان الفضل للساميين في تبنيها وتطويرها ونشرها • ففي مجـال الخط ، على سبيل المثال ، كان للسومريين الفضل الاول في استنباط أقدم وسيلة للتدوين والتي اصطلح على تسميتها بـ « الكتابة المسمارية » • وقـد أخذها الساميون عنهم فطوروها واضافوا اليها كثيرا من القيم الصوتية الجديدة مما يلائم لغتهم السامية • وفي نطـاق الادب وجـد السـاميون في التراث السومري مادة غزيرة فدرسوها واستنسخوها من وثائقها القديمة • وقد أخـذ الساميون الهيكل العام للقصة والاسطورة والملحمة السومرية ولكنهم اضافوا الى ذلك الهيكل « لحما وعصبا » على حد تعبير الاستاذ لمبرت[٧] • فخلقوا من ذلك أدبا جـديدا في شكله قديما في أصـوله • ويستطيع الباحث في موضوع القانون والقضـاء ان يلاحظ نفس الخط أيضـا • اذ من المعروف ان أقـدم القوانين من وادي الرافدين كانت سومرية • الا ان تشريع قانون بالمعنى الواسع لم ينجز الا في زمن الملك الاموري حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق•م) الذي استفاد من دون شك من القوانين السومرية السابقة لعصـره فكانت شريعته اكثر تكاملا وتفصيلا مما سبقها[٨] •

وهـذا القول ينطبق أيضـا على المعتقدات

ـ الرأي القائل بان هناك قوما ، من أصل غير معروف سبقوا السومريين في استيطان جنـوب وادي الرافدين • ويستند القائلون بهذا الرأي بالدرجة الاولى عـلى النتائج التي توصل اليهـا الاستاذ لانسبركر في بحث نشره عام ١٩٤٤ والذي بين فيه ان هناك مجموعة مـن الكلمات في اللغـة السومرية تتميز باهمية حضارية خاصة لانهـا اسماء حرف وصناعات رئيسة في المجتمع القديم الا انها في الوقت نفسه ليست من أصل سومري• فهي تتكون من مقطعين او اكثر في حين ان معظم الكلمات السومرية تكون عادة وحيدة المقطع • وكان من بين هذه الكلمات اسما دجلة والفرات واسماء عدد من المدن التي استوطنها السومريون واسماء عدد من الحرف (مثل فلاح، راعي ،صياد حداد ، نجار ، سلال ، مُعَدِن ، حائك ، دباغ فخار ، معمار ...) • ويفترض القائلون بهـذا الـرأي ان السومريين نزحـوا الى جنوب وادي الرافدين من مكان آخر وانهم وجدوا امامهم مدنا وقـرى عامرة فيها حـرف وصناعات محليـة فاستوطنوها وابقوا الاسماء على حالها •

حول مزيد من التفصيلات انظر :

Landsberger, "Die Anfaenge der Zivilisation in Mesopotamien", Journal of the Faculty of Languages, History, and Geography of the University of Ankara, II (1944), pp. 431-437.

(٧) Kramer, The Sumerians, p. 41. Lambert, Babylonian Wisdom Literature, p. 12.

(٨) كانت التاثيرات الحضارية المتبادلة بين السومريين والساميين موضوعا للمؤتمر التاسع للآشوريات المنعقد في جنيف عام ١٩٦٠ ، وقد صدر عـن المؤتمر المذكـور كراس يقـع فـي ١٦٣ ـ

الدينية التي يرجع معظمها الى أصـول من الفكر السومري سواء في مجموعة الالهة (Pantheon) التي عبدها سكان وادي الرافدين أو في نظام الكهنوتية والطقوس الدينية أو في المعتقدات الخاصة بخلق الكون والانسان والحياة والموت • اما التأثيرات التي تركها الساميون في مجال المعتقدات الدينية منذ العصور الاولى لظهور الحضارة في جنوب العراق القديم فتنحصر بصورة رئيسة في ادخال عبادة عدد من الآلهة السامية الى التي كانت تؤلف مجموعة الآلهة • وتتجلى هذه الحقيقة بوضوح في البحث المفصل الذي نشره Bottéro وعنوانه « الآلهة السامية القديمة في وادي الرافدين »[٩] والذي اعتمد فيه الكاتب كليا على أسماء الاعلام السامية الواردة في الوثائق المسمارية • وبموجب ذلك فان عدد الآلهة السامية في الفترة التي سبقت العصر السرجوني أي ما قبل (٢٣٥٠ ق•م) كان لا يزيد على ثلاثة عشر[١٠] • وقد اضيفت أسماء آلهة سامية أخرى ، وان كانت قليلة العدد ، في الفترات التاريخية اللاحقة وخاصة في زمن سيادة الامورين ابتداء من نهاية الألف الثالث ق•م•[١١] •

وقد أفاد الدكتور كريمر في بحثه عن « التأثيرات السومرية ـ البابلية في العقيدة الدينية في وادي الرافدين » من النتائج التي توصل اليها بوتيرو فأكد ظاهرة القلة في عدد الآلهة السامية التي جاء بها الساميون الى وادي الرافدين[١٢] ، وكان منطقيا ان يستخلص من ذلك بان مجموعة الآلهة تعود أصلا الى الكهنوتية السومرية اذ لو كان الامر غير ذلك وكان الساميون مبدعي هذه المجموعة الالهية ، لكانت الآلهة السامية هي السائدة ، ومما يعزز هذه الفرضية أيضا المكانة الثانوية التي احتلتها الآلهة السامية في «مجموعة الآلهة» والدور الثانوي الذي كانت تقوم به بالنسبة للآلهة السومرية •

ان من ابرز الآلهة السامية التي ادخلت عبادتها الى وادي الرافدين في عصر مبكر جدا هي ايا (Ea) اله المياه الازلية والذي يوازيه عند السومريين انكي (Enki) اله الارض ، ثم سن (Sin) اله القمر الذي يعرف في السومرية تحت اسم ننّا (Nanna) ، ثم شمس (Shamash)

ـ صفحة يضم بحوثا متكاملة تعتبر على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لهذا الموضوع • وقد تناول المساهمون جوانب التأثيرات المتبادلة من زوايا مختلفة • ويتضح من ذلك ان تلك التاثيرات تعود الى فجر العصور التاريخية وانها شملت جوانب مختلفة من الحياة اليومية كالمفاهيم والعادات الاجتماعية والمعتقدات والافكار الفلسفية والمفردات والاصطلاحات اللغوية وجوانب قانونية وتشريعية • انظر حول ذلك :

Aspects Du Contact Sumero-Akkadien, Musée D'Art et D'Histoire, Genèeve, 1960.

(٩) J. Bottéro, "Les Divinités Sémiti- que Anciennes en Mesopotamie", in La Antiche Divinità Semitiche (1958), pp. 17-63.

(١٠) وهي : أدد ، ايّا (Aia)) ، آلوم ، ابسوم (Apsum) ايا (Ea) ، ايلوم ، عشتار ، ايشوم ، ناردم ، بادان ((Padan) سن ، شمش ، شيبي •

(١١) من جملتها : مردوخ ، نابو ، صربانيتو ، آشور •

(١٢) انظر المرجع المذكور في الحاشية (٨) حيث توجد مقالة للدكتور كريمر تحت عنوان : "Sumero-Akkadian Interconnections: Religious Ideas", pp. 272-283.

اله الشمس الذي يرادفـــه الاله اوتـو (Utu) عند السومريين ، على ان من ابرز الآلهة السامية التي كتب لهـــا ان تلعب دورا بارزا في الادب والقصص والاساطير هي الألهـــة عشتار والتـي سماها السومريون ان ــ انا (Inanna) •

من المعروف ان التسمية الاكـدية عشـتار (I/Eshtar) سـامية أصـلا وانها وجـدت بصيغ أخرى مقاربة في مناطق متعددة من الشرق الادنى القديم منهـــا Ashtart' عنـد الاقوام السـامية الشمالية الغـــربية و Athr في رأس شمرة و Athar' عند العرب في جنوب الجزيرة العربية ومن المهـــم ان نذكر ان البابليين والاشوريين والكنعانيين عبدوا عشتار بصفتها الهة انثى ، ما عدا العرب الجنوبيين الذين اتخـــذوا من عثر الهاً ذكرا[١٣] •

وبالاضافة الى التشابه في اللفظ فان مما يدل على وجود الصـــلة في المعتقدات الخاصة بالآلهة عشتار في وادي الرافدين وبين الالـــه عثر في جنوب الجزيرة العربية هو ان كلا منهما كان قد جسد في نجمة سماوية ثم انهما عبدا ضمن ثالوث المجموعة الشمسية (الشمس والقمر والزهرة) الذي شاعت عبادته في جنوب الجزيرة العربيـة قديما • وأخيرا فان مما يؤكد « النسب » السامي للآلهة عشتار هو اعتقاد العراقيين القدماء بانها كانت بموجب بعض الروايات ابنة سن اله القمر واخت شمش اله الشمس وهذا ما يعزز علاقتها بثالوث المجموعة الشمسية •

واعتمادا على هذه الآراء الدالة على الاسم السامي للآلهة عشـــتار وعلى بعض الخصائص المتعلقة بها ، فقد ذهب الدكتور كريمر الى القول بان السومريين أخـذوا من الساميين الاوائل في وادي الرافدين عبادة هذه الآلهة ، وانهم ادخلوا اسمها الى مجموعة الآلهة السومرية تحت الاسم السومري المشهور « إن ــ انا » (ملكة السماء) ، والذي هـو حسب اعتقاد الدكتور كريمر ليس اسما وانما هو نعت استعمله السومريون للاستعاضة به عن اسمها الحقيقي عشتار بمعنى « الآلهة »[١٤] •

وأخيرا ولمـــا كانت العـــلامة الصـورية المستخدمة في كتابة اسم ان ــ انا قد وجدت على أقـدم الرقم الطينية القديمة من عصر الوركاء ، يعود تاريخها الى ما بين ٣٢٠٠ و ٣٠٠٠ ق٠م٠ ، فمن الطبيعي ان يتخذ الاستاذ كريمر من ذلك دليلا على ان عبادة عشتار كانت معروفة في سومر في وقت مبكر جدا ربما سبق بداية الالف الرابع قبل الميلاد •

في اعتقادنا انه ما من شك في ان اسم الآلهة

---

(١٣) في الواقع ان الاختلاف في تحديد جنس «عشتار» موجود حتى بالنسبة لـوادي الرافدين وفي فترة مبكرة • اذ نجد ان بعض اسماء الاعلام السامية في الفترة التي سبقت العصر السرجوني (Presargonic) والتي يدخل في تركيبها اسم «عشتار» تكون مرة مذكرة مثل Ishtar muti (عشـــــتار زوجـــي) Ishtar Umme (عشتار امي) • ومن الجائز ان يكون سـبب الاضطراب نتيجة لـوجود الهين مختلفين جنسا عند اوائل الاقوام السامية التي استوطنت في وادي الرافدين احدهمـــا مؤنث Ashtart' والاخر مذكر Ashtar' ، حول مزيد من من التفاصيل انظر الصفحات ٤١ــ٤٢ من المرجع المذكور في الحاشية رقم (٩) من هذا البحث •

(١٤) Kramer, Op. Cit., p. 274.

عشتار وبعض الصفات المعروفة عنها تعود الى أصول سامية كما يتضح ذلك من الادلة اللغوية والتاريخية التي تشير الى وجود عبادتها بين سكان جنوب الجزيرة العربية ، غير اننا نخالف الاستاذ كريمر في رأيه الاخير القائل باتخاذ السومريين من عشتار الهة تحت اسم ان ـ انا •

هناك أكثر من سبب،واحد يحول دون امكانية الاخذ برأي الاستاذ كريمر فمن الواضح انه جاء بهذا الرأي بوحي من مدلول ان ـ انا « ملكة السماء » ، الذي أعطاه الانطباع بان السومريين ترجموا احدى صفات عشتار السامية وصيروها اسما سومريا لها • والحقيقة فان قراءة اسم الآلهة بهذا الشكل (Inanna) أصبح موضع شك عند بعض الباحثين وعلى رأسهم الاستاذ غلب الذي يقترح ان يقرأ اسم الآلهة بشكل (Innin) وان كنا لا نشاطره هذا الرأي[١٥] لبعض الاسباب اللغوية •

ومما لاشك فيه ان الآلهة ان ـ انا (أو حتى ان ـ نن) كانت عند السومريين الآلهة الام بالدرجة الاولى بدليل انها كانت تلقب بـ « الام » (ama) في النصوص السومرية ذات العلاقة بعبادتها وطقوسها ، وليس هناك من شك في ان المعتقدات والطقوس الخاصة بالخصب والتي مارسها انسان عصور ما قبل التأريخ في وادي الرافدين تتصل اتصالا وثيقا بفكرة الآلهة الام التي صنع لها الانسان الدمى مما جثنا على ذكرها فيما تقدم • ومن هذا يتضح ان فكرة الآلهة الام وطقوس الخصب المتصلة بها لم تكن امرا غير مألوف عند سكان وادي الرافدين سواء في زمن ظهور السومريين أم قبلهم ، ولهذا فمن غير المعقول ان يكون تأثير الساميين ملموسا وفي هذه الناحية بالذات وبالقدر الذي ذهب اليه الاستاذ كريمر ، وعلى العكس من ذلك فاننا نجد ان المفاهيم السومرية ، وخاصة في نطاق المعتقدات الدينية ، كانت هي المؤثرة • وان تأثير الساميين لا يكاد يكون ملموسا في نطاق المعتقدات الاساسية بقدر ما هو واضح في جوانب حضارية أخرى •

يضاف الى ما تقدم ان المعتقدات المتصلة بالاله دموزي (تموز) ، باعتباره اله الخصب قد أصبحت في عصر مبكر جدا جزءاً أساسيا ومكملا لعبادة الآلهة ان ـ انا • والمعروف عن الاله دموزي (Dumuzi: الابن الصالح) انه سومري وان اسمه وما يدور حوله من معتقدات وطقوس تركت أثرا مباشرا وواضحا في التراث البابلي • وهذه الحقيقة تؤكد مرة أخرى على ان دور السومريين كان اساسيا وخاصة فيما يتعلق بمسألة الآلهة الام وزوجها اله الخصب •

ونود ان نذكر أخيرا بان كتابة اسم الآلهة ان ـ انا في أقدم أشكاله على رقم الطين السومرية ووجود رموزها منحوتة على أقدم الاختام والقطع الفنية المعروفة هو في اعتقادنا دليل يؤكد أيضا بان اسم الآلهة ان ـ انا (أو حتى ان ـ نن) كان من ابداع السومريين دون تأثيرات سامية • وفي اعتقادنا ان الاصل السامي للآلهة عشتار ينبغي الا يضطرنا الى الشك في الاصل السومري للآلهة ان ـ انا اذ ليس لذلك من مبرر اطلاقا • ويبدو

---

(١٥) Gelb, "The Name of The Goddess Innin", JNES, Vol. XIX (1960), pp. 72-79,

ان الساميين الاوائل الذين استقروا في وادي الرافدين جاءوا ببعض العبادات المتعلقة بعشتار وغيرها من الآلهة الاخرى مثل ايا وشمش وسن وانهم وجدوا عند السومريين معتقدات دينية كان من مظاهرها البارزة التأكيد على عبادة الآلهة الام ان ـ انا وعلى أهمية دورها ودور الاله دموزي في المعتقدات المتصلة بالخصب • وبمرور الزمن ونتيجة لتجاور الساميين مع السومريين طيلة قرون عديدة فقد نتج نوع من التطابق بين الآلهة السومرية والسامية فطوبقت ان ـ انا مع عشتار وانكي مع ايا واتو مع شمش ونانا مع سن ، طالما كانت هذه الآلهة تتشابه في الصفات الاساسية العامة بصرف النظر عن الجزئيات •

واذا كانت ان ـ انا وعشتار اسمين لآلهة واحدة هي الآلهة الام ، يبقى هناك سؤال مهم وهو أي من الطقوس والمعتقدات الخاصة بها سومري واي منها سامي • ان الجواب على هذا السؤال ليس امرا سهلا ذلك لان المعتقدات والطقوس المتصلة بالآلهة الام (ان ـ انا أو عشتار) قد استمرت في كل العصور من تاريخ وادي الرافدين ولانها ، مثل بقية الافكار والمفاهيم والمعتقدات السومرية والبابلية الاخرى ، امتزجت بحكم تجاور السومريين والساميين بحيث لم يعد أمرا سهلا على الباحث ان يميز في معظم الاحيان بين الاصول السومرية والسامية ، ولهذا السبب فاننا عندما نستعمل لفظ « ان ـ انا » أو «عشتار» في هذا البحث انما نقصد الآلهة التي عبدها وقدسها العراقيون القدماء بصرف النظر عن كونهم سومريين أو ساميين • غير اننا نضطر في كثير من الاحيان الى استخدام لفظ دون آخر خاصة عند الحديث عن النصوص المسمارية حيث تحتم علينا لغة النص نفسه استخدام الاسم السومري (ان ـ انا) اذا كان النص سومريا ، أو الاسم السامي (عشتار) اذا كان النص مدونا بالاكدية • ومن ناحية أخرى فقد فضلنا استخدام اللفظ السامي (عشتار) عند الحديث عن إلهة الخصب بصورة عامة نظرا لشيوع هذه التسمية ولكونها مألوفة بين القراء أكثر من التسمية السومرية (ان ـ انا) •

تفيد كلمة عشتار في الاكدية معنى « الالهة » بصورة عامة وتعني أيضا المعبودة الشخصية أو تمثالها والتي كان يتخذ منها الفرد قديما وسيلة بينه وبين الالهة الاخرى[١٦] • وقد اشتق من هذا الاسم الصفة Ishtaritu بمعنى « المقدسة » والتي أصبحت أحد نعوت الالهة عشتار • وجدير بالذكر ان هذه الصفة (Ishtaritu) كانت تطلق أيضا على صنف معين من النسوة اللواتي كن ، على ما يبدو ، مكرسات للخدمة في المعابد حيث يرد ذكرهن في النصوص المسمارية مع أصناف أخرى مثل Kulmashitu Qadishtu ممن كن يمتهن البغاء المقدس (Sacred Prostitution)

لقد حظيت الآلهة عشتار بقسط وافر من الالقاب التي تشير في الحقيقة الى الاوجه المختلفة من صفاتها وخصائصها ، وكانت من أبرز تلك الصفات وأكثرها شهرة كونها الهة الخصب بالمعنى الواسع لهذه الكلمة بما في ذلك

---

(١٦) The Assyrian Dictionary, Vol. 7, pp. 270ff.

من مدلولات عن الجنس والتكـــاثر والحب ، وكونها أيضا الهة للحرب • ومن ناحية أخرى فقد كان يشار اليها في القطع الفنية برموز معينة من اشهرها حزمة من القصب ونجمة مثمنة • وسنأتي على تفصيلات هـذه الرموز في موضـع لاحق من هذا البحث •

ومن المعروف ان عقيـدة « الخصب » التي سبق وان المحنا اليها ، لم تكن مقصورة على الآلهة الام وانما كان يكملها بطبيعة الحال اله الخصب باعتباره العنصر المذكر في الطبيعة • وهناك ملاحظة جديرة بالاعتبار وهي انه في الوقت الذي احتلت فيـــه الآلهة الام حيزا كبيرا في المعتقدات الدينية لانسان عصور ما قبـل التاريخ ، فان الادلة على عبادة اله الخصب لم تكن بالشكل الواضح لدينا خاصـة بالنسبة لوادي الرافدين ، ومن ناحيـة أخرى فان وجود الدلايات الحجرية المصنوعـة بشـكل رأس الثـور وظلف الثور وكـذلك الرسومات التي تصور رأس هـذا الحيوان على الاواني الفخارية في عصر حلف (٤٠٠٠ ق٠م٠) تجعل من الراجح ان سكان عصور ما قبل التاريخ في العراق اتخذوا من الثور رمزا للعنصر المذكر في الطبيعة وجعلوه نظيرا للآلهة الام • ويستخلص الاستاذ ملوان من ذلك ان انتشـار المعتقدات الخاصة بالثور واتخـاذه رمزا للنمو والتكاثر في حضارات الشرق الادنى القديم كانت نتيجة للتأثر بأفكار سكان حلف[١٧] •

وفي العصور التاريخية تجسد اله الخصب في الاسطورة والطقوس السومرية والبابليـة باله شاب وراع سماه السومريون دموزي"Dumu-zi" (دمو : ابن ؛ زي : مخلص) بينما كان « الثور الوحشي» أحد القابه الكثيرة«والحقيقة فان مدلول الاسم لهـذا الاله (الابن المخلص)[١٨] غـير واضح اذا ما قورن ببقية اسماء الآلهة السومرية الاخرى التي تكشف اسماؤها أحيانا عما تمثله من قوى ومظاهر طبيعية ، وعلى الارجح فـان اسم « دموزي » عبارة عن شكل مختصر من الاسـم دموزي ـ ابسو (Dumuzi-Abzu الابن المخلص للابسو) وهـو اله يرد ذكره وذكر معبـده في نصوص سلالة لكش الاولى[١٩] • وقـد عرف الاله دموزي عنـد الاكـديين والعبرانيين بنفس

---

(١٧) Mallowan, Twenty-Five Years of Mesopotamian Discovery, p. 5.

(١٨) في سنة ١٩٥٣ تقدم الاستاذ جاكبسون بتفسير جديد لاسم الاله دموزي فقال انه يعني «هو الذي يعجل بالصغار (اي يقويهم ، يكسبهم الصحة)» he who quickens (make vigorous, make healthy) the young ones.

وكان رايه هذا مستمدا مما هو معروف عن دموزي « راعي الاغنام والماشية » • ولذلك فقدكان دموزي في اعتقاده يمثل الموسم القصير للحليب في الربيع وانه عندما تتوقف الاغنام عن در الحليب فان ذلك معناه موت الاله :

Jacobson, "The Myth of Inanna and Bilulu", JNES, 12 (1959) pp. 160-166.

(١٩) انظر : ٧٦

Sollberger, Corpus des Inscriptions Royales ....., p. 58, UKG-16, V.: 9.

وخلافا لذلك فقد حاول الاستاذ فلكنشتاين من خلال دراسته لاسم الاله دموزي في النصوص المسمارية ان يثبـــت بان دمـــوزي ودموزي ـ ابسو اسمان لالهين مختلفين • حتى انه ذهب الى أبعد من ذلك عندنا افترض بان دموزي ـ ابسو اسم لالهة وليس لاله • غير ان فرضيته كانت خاطئة وكان الاستاذ كريمر اول مـن سـجل اعتراضه عليها :

Compte Rendu de la troisième Recontre Assyriologique Internationale, (1954), pp. 41-62.

التسـمية السـومرية تقريبـا اي « تمـوزي » و « تموز » على التوالي ، وخلد اسمه في العربيـة والعبرية بشهر تموز .

ولكن وبالرغم من ان دموزي اله سومري وان الطقوس الخاصة به احتلت حيزا مهمـا في العقيدة الدينية للقدماء سواء في وادي الرافدين أو خارجه ، فانه من غير المستبعد ، في نظـر بعض الباحثين ، ان يكون هـذا الاله بالاصل شخصية تاريخيـة . فبموجب القائمـة السومرية للملوك يوجـد من بين ملوك سومر وأكد ملكان فقط حملا اسم دموزي . الاول وقـد حكـم في فترة ما قبـل الطـوفان والتي خصص لملوكها سنوات حكـم خيالية . وعن هـذا الملك تذكر القائمة : « في مدينـة بادتيبرا (Bad-Tibira) حكم الاله دموزي الراعي ٣٦٠٠ سـنة » . اما الثاني فانه أحـد ملوك سلالة الوركاء الاولى والذي تقول عنه قائمة الملوك : « حكم في الوركاء الاله دموزي صياد السـمك ، وهو من مدينـة كوا (Kua) ١٠٠ سنة »[٢٠] ويعتقـد بعض الباحثـين بان دموزي ملك الوركاء هذا والذي حكم في حدود ٢٧٠٠ قبل الميلاد كان الشخص الذي كتب له ان يصبح ما يعرف بالاله دموزي .

كانت شخصية دموزي موضوعا للبحث في المؤتمر الثالث للآشوريات المنعقد في لايدن عـام ١٩٥٢ ، وقد اسهم فيـه عـدد من علماء الآثار والاشوريات ونخص بالذكـر منهـم الاسـتاذ فلكنشتاين الذي كان في مقـدمة القائلـين بان دموزي كان ملكا بالاصل . غير ان فلكنشتاين يعتقـد بانه من غير المستبعد ان ترجع العقـائد والطقوس التموزية الى سلف آخر لدموزي ملك الوركاء أي الى سابقه ملك بادتيبرا الذي يذكر في قائمـة الملوك بأسـم دموزي ولكنـه كان يسمى حقيقة بأسم أما ـ أشمكل (ama-ushumgal) الذي أصبح من نعوت دموزي الشائعة في النصوص المسمارية المتعلقـة بطقوس الخصب وأناشـيد الزواج المقدس[٢١] .

ويحاول الاستاذ كريمر وهـو من القائلين أيضـا بشخصية دموزي التاريخية ، ان يوضح كيف ان « دموزي ـ الملك » أصبح « دموزي ـ الاله » ، فيقول ما معناه وملخصه : لقد جسـد السومريون كل مـا يتعلق بضمان بقاء الانسان وتكاثره من حب وعواطف ورغبة جنسية في الهة جميلة ومغرية ، مرهفة وشيقة هي الهـة الحب ان ـ انا التي كان مركز عبادتهـا في الوركاء ، احدى مدن سومر الرئيسة منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد . وبعـد هـذا التاريخ بفترة قصيرة توصل بعض المفكرين والمبدعين من الكهان وعلماء الدين الى ابتداع فكـرة مفرحة وضامنة لتكاثر الانسان والحيـوان ولزيادة الكثرة والعطـاء في مظاهر الطبيعة ، وذلك بجعل ملكهم حبيبا وزوجا لآلتهـم ان ـ انا . وبهـذا أصبح يشاركها في الخصب والنفـوذ والقـوة وكـذلك في خلودها الالهي ، ويضيف الاستاذ كريمر الى ذلك قوله : وعلى هذا النحو ظهرت الى الوجود طقوس الزواج

---

(٢٠) ANET (Second edition), pp. 147-160

(٢١) حـول رأي فلكنشتاين واراء اخـرى بصدد دموزي ، انظر :
Gurney, "Tammuz Reconsidered", Journal of Semitic Studies, Vol. 7, (1962), pp. 147-160.

المقدس[٢٢] التي تدور حول الاله دموزي الذي ينبغي ان يكون واحدا من مشاهير ملوك الوركاء وحول ان ـ انا الهة الجنس التي كانت تعبد في هذه المدينة • اما السبب الذي جعل الكهنة ورجال الدين يختارون **الملك دموزي بالذات فانه أمر غير** معروف عند الاستاذ كريمر ولكن ربما كان لبعض الانجازات التي حققها في خلال حياته اثر في ذلك على حد قوله[٢٣] •

لا نشك في ان هذه الفرضية عن أصل الاله دموزي جاءت نتيجة عوامل وقضايا عديدة ذات صلة بهذا الاله • فالمعروف عن دموزي انه لم يكن في الواقع من الآلهة البارزة في مجمع الآلهة (Pantheon) **السومرية ـ البابلية ثم ان** عبادته لم تقترن يوما ما بمدينة معينة على عكس الآلهة المشهورة الاخرى التي كانت لها معابد ومراكز كهنوتية في مدن معروفة • يضاف الى ذلك بالطبع تطابق الاسمين « دموزي ـ الملك » من سلالة الوركاء و « دموزي ـ الاله » زوج الهة الخصب ان ـ انا التي كان مركز عبادتها في مدينة الوركاء أيضا • ولعل من أهم الادلة التي تستند اليها الفرضية موضوعة البحث ما ورد في أحد المقاطع في قطعة سومرية على لسان الآلهة ان ـ انا قولها :

« وامعنت النظر في الناس كلهم ،
فاخترت من بينهم دموزي لألوهية البلاد ،
انه من تعتز امي به دائما ،
ومن يجله ابي ••• »

ان هذا النص ، في نظر الاستاذ كريمر ، دليل على ان دموزي كان ملكا دنيويا وانه صار الهاً عندما اختاره كهنة مدينة الوركاء ليكون زوجا للالهة ان ـ انا في طقوس الزواج المقدس وانه بقي الهاً على مر العصور الى يومنا هذا •

وعلى الرغم من هذا الدليل الذي قد يبدو مقنعا لاول وهلة ، فاننا نتخذ موقف المتحفظ من الرأي القائل بان الاله دموزي كان ملكا بالاصل لاسباب عديدة أولها ان تأليه ملك دنيوي بكل ما في هذه الكلمة من معنى[٢٤] يعتبر سابقة ليس لها مثيل في تاريخ وادي الرافدين ، كما انها تتعارض بشدة مع الفكر الديني عند السومريين والبابليين • ومن جهة أخرى فانه على الرغم من عظمة المآثر التي ربما يكون قد انجزها الملك دموزي ، والتي لا نعرف عنها شيئا اطلاقا ، فانها لا تبدو مبررة لاتخاذه الهاً • فهناك من الملوك الاوائل سواء من نفس سلالة الوركاء الاولى مثل انمركار ، لوكال بندا ، كلكامش ، أو من سلالات أخرى ممن ذاعت شهرتهم أو نفوذهم في منطقة واسعة في الشرق القديم سواء أكانت انجازاتهم سياسية أم عسكرية أم دينية لم ترفعهم يوما ما الى مصاف الآلهة • يضاف الى ذلك ان اسم الاله دموزي هو شكل مختصر لاسمه الكامل

---

(٢٢) Kramer, The Sumerians, p. 45; "The Dumuzi-Inanna Sacred Marriage Rite", Recontre Assyriologique Internationale XVII, pp. 35 ff; The Sacred Marriage Rite, pp. 57-58.

(٢٣) حول مزيد من التفاصيل انظر بحثنا عن « أعراس تموز ومأساته » في المجلد (٢٨) من مجلة سومر •

(٢٤) حول تفسير ظاهرة التالية لبعض من ملوك وادي الرافدين انظر :
Frankfort, Kingship and the Gods, p. 296ff.

دمـوزي ـ ابســو (Dumuzi-Abzu) « الابن الصالح لمياه المحيط (تشير مياه المحيط هنا الى مسكن اله المياه انكي) مما يعزز صلة الالــه دموزي باله المياه ويثبت في نفس الوقت ان دموزي ودموزي ـ ابسو هما اسمان لاله واحد • كما ان المآثر الدينية السومرية تنسب دموزي الى أب هو الاله انكي أيضا وهذه حقيقة يصعب تجاهلها كمـا يصعب التوفيق بينهـا وبين فرضية الاستاذ كريمر اذ ليس من المعقول ان تنسب مثل هـذه المآثر « الملك » دموزي الى مثـل هـذا الاصـل الالهي • وأخيرا فان هذه الفرضية عن دموزي ، الاله الراعي ، تتغفل[٢٥] بشكل واضح مـا يرد عنــه في اسطورة سومرية لها أهميتها في الفكر الديني الســومري والتي تعـارف المختصون على تسميتها باسطورة « انكي وتنظيم الكون »[٢٦] • اذ بموجب هذه الاسطورة فقد وزع الاله انكي مظاهر الحضارة والتمدن بين الآلهة فكانت حصة **دموزي رعي الماشية والاشراف على حظـائرها** • ان كون دموزي الهاً راعيـاً في هـذه الاسطورة المهمة وكونه الهاً راعياً في التآليف الدينية والادبية المسمارية لا يمكن ان يكون توافقا عفويا وانمـا ينبغي ان يكون نابعـا من عقيـدة قديمة بالاله دموزي الراعي وفي زمن مبكـر يسبق سـلالة الوركاء الاولى وملـكها دموزي اذ ان اسـطورة « انكي وتنظيم الكون » تعكس بطبيعة موضوعها حــوادث افترض الســومريون وقوعهــا في البدء[٢٧] •

من المعروف عن الآلهة السومرية والبابلية انها تمثل بالدرجة الاولى قوى الطبيعة وان لكل منهـا وظيفة خاصة ، فهنـاك على سبيل المثال لا الحصر ، **إله للسماء والشمس والقمر والهـواء** والارض ••• ومن المعروف أيضا ان سكان وادي الرافدين نسبوا لكل من هذه الآلهة صفات خاصة وانهـم جسـدوا تلك الصـفات في رموز دينيـة صوروها على القطع الفنية فأصبحت بمرور الزمن شارات أو علامات مميزة للآلهة • وبقدر ما يتعلق الامر **بألهة الخصب فقد استخدم الاقدمون رموزا** لها لعل من اشهرها حزمتين من القصب برأسين معقوفين • وقد استعمل هذا الرمز على الاختـام الاسطوانية وبعض النماذج الفنية ابتداء من عصر فجر الكتابة (في حدود ٣٠٠٠ ق•م)• والاعتقاد السائد بشأن حزمتي القصب انهما تمثلان العمودين الجانبين لمدخل الكوخ الذي ربما كان يتخذ منه مكانا لاقامة طقوس الخصب الخاصة بالآلهة ان ـ انا في عصر مبكر جدا في بلاد سومر أي قبل ان تنشأ **المدن الكبيرة وتبنى فيها المعـــابد والزقورات** • وأهم من ذلك فقد أصبحت حزمة القصب في وقت مبكر أيضا علامة صورية ومن ثم مسمارية لكتابة اسـم آلهـة الخصب ان ـ انا[٢٨] ويرى بعض الباحثين ان حزمة أو عمـود القصب ، بنهايتها

---

(٢٣) • بحثنا المشار اليه في الحاشية

(٢٥) Kramer, The Sacred Marriage Rite, p. 146. n. 5.

(٢٦) ———, The Sumerians, p. 174.

(٢٧) يجد القارىء تفاصيل اخـرى تتعلق بمناقشة هذه الفرضية عن أصل الاله دموزي في

(٢٨) Falkenstein, Archaische Texte, Nr. 97, II: 2-286, III: 5; Labat, Manuel d'Epigraphie Akkadienne Nr. 103.

المعقوفة ، قد تركت أثرا واضحا في تيجان الاعمدة الحجرية في بلاد اليونان في عصور لاحقة[٢٩] .

هناك شواهد كثيرة على هذا الرمز في القطع الفنية ، وخاصة الاختام الاسطوانية التي تعود الى عصري الوركاء وجمدة نصر . وتتناول هذه الاختام عادة مشاهد الماشية من أبقار وأغنام ومعز وهي في وضعيات مختلفة كأن نراها وهي تأكل من أغصان شجرة أو ان تكون في حالة السير نحو حظائرها . وفي كل الاحوال تظهر حزمة القصب برأسها المعقوف في طرفي المشهد أو أن تشاهد وهي تبرز من جانبي حظيرة الماشية . ومما لا شك فيه ان وجود رمز الآلهة ان ـ انا في مثل هذه الاختام يرتبط بعقيدة القصب أي من أجل تكاثر الحيوانات والنباتات[٣٠] .

على ان من ابرز القطع الفنية واكثرها شهرة بهذا الرمز وبطقوس الخصب المتعلقة بالألهة ان ـ انا هو ما يعرف بـ « الاناء النذري » المكتشف في مدينة الوركاء والذي يعود تاريخه الى عصر جمدة نصر (نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد) ، ويعتبر هذا الاناء من القطع النفيسة في المتحف العراقي وهو من حجر الكلس على شكل اناء اسطواني (يبلغ ارتفاعه ٤١ ٣/٨ انجا) وله قاعدة مخروطية . وقد نحت ظهر الاناء من الخارج بثلاثة حقول الواحد منها فوق الآخر وهي تمثل مشاهد تقديم القرابين الى الآلهة ان ـ انا[٣١] .

ويظهر في الحقل العلوي من الاناء حزمتا القصب وأمامهما تقف امرأة تستقبل موكب القرابين وهي على الاغلب تمثل الآلهة ان ـ انا نفسها أو احدى كاهنات معبدها . ويتقدم الموكب رجل عاري يحمل بيديه سلة مملوءة يقدمها الى المرأة الواقفة أمام الحزمتين . ويظهر خلف قائد الموكب بقايا لصورة رجل هو في الغالب الملك أو الكاهن الاعظم ، بدليل انه يرتدي بدلة طويلة تميزه عن بقية الرجال الآخرين ولأن خادما يسير خلفه وهو يحمل ذيل حزامه .

أما الحقل الثاني فانه يمثل صفا من الرجال العراة وهم يحملون السلال والأواني والجرار لتقديمها الى الآلهة . ويظهر خلفهم في الحقل الثالث صف من الاغنام (كبش ونعجة بالتناوب) وهي تسير في أرض مزروعة بالحنطة أو الشعير ونباتات أخرى على مقربة من حافة النهر .

وبالاضافة الى الاهمية الفنية لهذا الاناء ، باعتباره اقدم ما اكتشف من آنية منحوتة لحد الآن ، فانه يعتبر من جهة أخرى أقدم اثر يصور كيف كانت تقدم الهدايا والنذور الى الآلهة في سومر قبل خمسة آلاف سنة . ومن المحتمل ان تكون المشاهد التي ذكرناها قبل قليل هي في الواقع صورة لتقديم الهدايا أثناء الاحتفالات الخاصة بالزواج المقدس . وسواء كانت المرأة الواقفة لتسلم الهدايا في الحقل الاول من الاناء هي الآلهة السومرية ان ـ انا أم الكاهنة العظمى

---

(٢٩) Saggs, The Greatness That was Babylon, p. 496.

(٣٠) حول مزيد من الامثلة على هذا الرمز يراجع :
Frankfort, Cylinder Seals, Pl. III, V.

(٣١) انظر الاشكال على سبيل المثال :
Parrot: Sumer, fig. 87-90.

لمبدها فان وجود حزمتي القصب ، رمز الآلهة ان ـ انا ، يدل على ان الهدايا كانت من أجل هذه الآلهة كما ان الفكرة التي يصورها المشهد باجمعها تتفق وما هو معروف عن تقديم الهدايا والنذور الى آلهة الخصب أثناء احتفالات الزواج المقدس .

لقد كانت معظم الآلهة في وادي الرافدين تجسيدا لمظاهر الطبيعة المختلفة وخاصة النجوم والكواكب . فقد اعتقد البابليون بان الشمس تمثل الاله شمش ، والقمر الاله سن ، وعطارد الاله نابو ، والزهرة الآلهة عشتار ، والمريخ الاله نركال والمشتري الاله مردوخ وزحل الاله ننورتا . وبقدر ما يتعلق الامر بالآلهة عشتار فقد كن يرمز اليها في المنحوتات والاختام بنجمة ثمانية اشارة الى نجمة الزهرة ، ومن الطبيعي ان تقرن عشتار ، بصفتها ربة الجمال بألمع النجوم السماوية . والمعروف عن هذه النجمة انها استحوذت منذ أقدم الازمان على مشاعر الادباء وانها حظت باهتمام العلماء من الفلكيين . وقد عرفت نجمة الزهرة في النصوص الفلكية البابلية بنجمة « دلبات » واطلقوا عليها أسماء أخرى تبعا للاشهر الاثنى عشر من السنة وتبعا لظهورها في الشرق أو الغرب . وقد اولى الاقدمون اهتمامهم أيضا بلون هذه النجمة كاحمرارها عند الظهور واشتداد حمرة جوانبها في شهر ايار أو اشتداد لمعانها واتخاذها لونا اقرب الى البياض في شهر آب ... وتدل النصوص الفلكية من زمن الملك البابلي آمي صدوقا (١٦٤٦ ـ ١٦٢٦ق.م) على ان البابليين اهتموا كثيرا برصد هذه النجمة وانهم عرفوا أول وآخر ظهورها ، أي عند الغروب والشروق كما انهم استنبطوا الفأل من حالات ظهورها واختفائها أو من تغيير لونها . ونذكر من ذلك انهم فسروا ظهور الزهرة في شهر نيسان في الشرق وهي لامعة بان المحاصيل ستكثر في البلاد اما بقاؤها في موضعها فانه كان نذيرا في اعتقادهم بان ملك عيلام سيقبض على زمام الامور بيد قوية وان عيلام سيسودها الهدوء[٣٢] . كما ان ظهورها المتناوب ، تارة عند الغروب وتارة قبل الشروق ـ تبعا لاختلاف وضعها بالنسبة للشمس ولدورانها حولها ـ كان السبب أيضا في تسميتها بربة المساء وربة السَحَر[٣٣] .

وهناك عدد من الاختام الاسطوانية وبعض المنحوتات التي تظهر عليها الآلهة ان ـ انا (عشتار) بشخصها أو بشكل رمزي هو النجمة الثمانية . ومن المعروف ان النجمة الثمانية في الخط المسماري كانت من العلامات التي تستخدم للتعبير عن كلمة إله أو إلهة ، غير ان هذا لا يعني بالطبع ان كل نجمة في المنحوتات أو الاختام ترمز الى الألهة عشتار اذ ان النجمة كثيرا ما تستعمل للتعبير عن مفهوم القدسية بصورة عامة .

ومن الامثلة على علاقة عشتار بالكواكب

---

(٣٢) Gösman, Planetarium Babyloni-cum, in Sumerisches Lexicon, Vol. IV, part 2, p. 35ff; Sarton, A History of Science, Vol. 1, part 1, p. 77-78.

(٣٣) يجد القارىء تفاصيل وافية عن ان ـ انا (عشتار) «نجمة الزهرة» و «ربة المساء والسحر في الترنيمة السومرية المنشورة في كتاب :
Sumerische und Akkadische Hymnen und Gebete, p. 91-99.
ثم يراجع حول ذلك ايضا :
CAD, Vol. 7 sub. iltu, p. 89

السماوية ختم آشوري يصورها واقفة على حيوان خرافي وتحيط بها هالة من النجوم وتحمل بيدها صولجانا رأسه على شكل نجمة ثمانية ويعلو رأسها نجمة كبيرة أخرى • وفي المنظر نفسه يظهر أمامها الاله نابو ، اله الحظ ، واقفا على حيوان خرافي أيضا • وفي الطرف الآخر ترى متعبداً يمد يديه بوضعية الصلاة وفوق رأسه سبع دوائر ترمز الى مجموعة النجوم المعروفة بالثريا[٣٤] •

واذا ما انتقلنا من الرموز الدينية الى الصفات والخصائص التي نسبها سكان وادي الرافدين الى إلهتهم ان ـ انا (عشتار) فاننا نجد انها تركت اثرا واضحا أيضا في النصوص الكتابية والآثار الفنية • فلأنها الهة الخصب ، بما في ذلك نمو الزرع وكثرة المحاصيل ، لذا رسمها الفنانون القدامى على بعض من الاختام الاسطوانية وهي تجلس على كومة من الحبوب أو تمسك بالمحراث[٣٥] •

على ان ابرز الصفات التي اشتهرت بها عشتار في كل الازمان كونها الهة الحب والجمال والجنس • ونستطيع الحصول على صورة لربة الجمال التي عبدها السومريون والبابليون من خلال الدمى الكثيرة التي صنعها الفنانون القدامى وما كتبه عنها الشعراء والادباء • فهي شابة ممتلئة الجسم ذات صدر بارز وقوام جميل وعينان مشرقتان • وهي أيضا على قسط كبير من الجمال حتى انها كانت تبز في ذلك كل قريناتها من الالهات[٣٦] • واضافة الى ذلك فانها كانت تتصف بالرقة والعطف على الناس وبالحنو على المرأة • وسنجد المزيد من الكلام عن ان ـ انا (عشتار) الهة الحب عندما نأتي على ذكر قصص حبها ومغامراتها العاطفية مع الاله الراعي دموزي (تموز) في بحث لنا تنشره في عدد لاحق من مجلة سومر • ولا بأس من أن نقتبس هنا احدى التراتيم البابلية التي قيلت في مدح الالهة عشتار لنتعرف من خلالها على بعض من تلك الصفات التي كانت الالهة تجمعها في شخصيتها[٣٧] :

« الحمد للآلهة لأكثر الالهات رهبة ،
والاجلال لسيدة الشعوب ، لاعظم الهة بين آجيجي[٣٨] •
الحمد لعشتار ، لأكثر الالهات رهبة ،
والاجلال لملكة الشعوب ، لاعظم الهة بين آجيجي •
لقد أُلبست السرور والحب
وحُملت بالحيوية والسحر والرغبة •
عشتار قد البست السرور والحب
وحملت بالحيوية والسحر والرغبة :
حلوة الشفتين (و) في فمها الحياة

---

(٣٤) انظر :
Porada, Mesopotamian Art in Cylinder Seals, fig. 81.

(٣٥) Frankfort, op. cit., pl. XX j, k

(٣٦) CAD, Vol. 7, p. 272.

(٣٧) كتبت هذه الترنيمة في القرن السابع عشر قبل الميلاد ، وعلى وجه التحديد في زمن الملك البابلي آمي ديتانا (١٦٨٣ ـ ١٦٤٧ ق • م) بمناسبة توليه السلطة على مايبدو ، انظر :
ANET (Second edition) p. 383-384

(٣٨) مجموعة من الالهة التي مازالت معلوماتنا عنها قليلة جدا ، ويقابلها مجموعة أخرى من الالهة آنوناكي (Anunnaki)

(و) عند ظهورها يكتمل السرور
هي الجليلة وعلى رأسها وضعت الحجب
قوامها جميل وعيناها مشرقتان •
★ ★ ★
الآلهة ـ معها المستشار ـ وفي يدها تمسك بمصير كل شيء
وفي نظرتها تجد الفرحة والعظمة والالـــه الحافظ والملاك الحارس •
انها تركن الى الرحمة والمودة وتهتم بها
والى جانب ذلك فانها تتصف حقا بالرضا
وتصون (المرأة) سواء كانت أمَة أم حرة أم والدة » •
★ ★ ★
من ذا الذي يوازيها في العظمة ؟
عشتار ـ من ذا الذي يوازيها في العظمة ؟
احكامها قوية ومعظمة وجليلة •
★ ★ ★
هي المنشودة من بين الالهة ، مقامها عظيم
وكلمتها محترمة (و) سامية بينهم •
عشتار ـ مقامها عظيم بين الآلهة
وكلمتها محترمة وسامية بينهم •
★ ★ ★
هي ملكتهم وهم باستمرار ينفذون اوامرها
كلهم يسجدون امامها
ويستقبلون نورها امامها
النساء والرجال يعبدونها حق العبادة •
★ ★ ★
كلمتها قوية في مجلسهم : انها العليا •

(عشتار) تسندهم امام آنو ملكهم •
تركن الى العقل والفطنة والحكمة
انهما يتبادلان المشورة : هي وسيدها[٣٩]
★ ★ ★
وفي قاعة العرش يجلسان سوية
في القاعة المقدسة ، منزل الفرح ،
يأخذ الآلهة اماكنهم امامهما
ويصغون بامعان الى اقوالهما •
★ ★ ★
امـا الملك (الذي) اختاروه واحبوه في قلوبهم
فانه يقدم بسخاء اضاحيه المقدسة
آمي ديتانا يقدم أمامهـــم عجـــولا مسـمنة وغزلانا
هي بمثابة القرابين المقدسة من يديه •
(والالهة) مسرورة لان تطلب لـــه من زوجها[٤٠] آنو ،
حياة طويلة مستديمة •
لقد منحت عشتار وصممت ان تعطي
الى آمي ديتانا حياة طويلة •
واخضعت له باوامرها
جهات العالم تحت قدميه
وجموع الشعوب كلها
صممت على ربطهم بنيره »
★ ★ ★
ويتردد اسم الالهـــة ان ـ انا (عشتار) بصفتها الهة الحب والجنس أيضا في بعض التمنيات التي كانت تقال في المناسبات الخاصة • ومن ذلك

---

(٣٩) المقصود به هنا آنو ، اله السماء • عشـتار وليس زوجهـــا ، انظـر حـول ذلك
(٤٠) المعروف عن الاله آنو انه كان ابا للالهة الحاشية (٥٥) •

ما كان يقال في السومرية الى من هو مقبل على الزواج :

« عسى ان تمنحك ان ـ انا زوجة دافئة الاطراف تضطجع لك ،
وعسى ان تمنحك أولادا أقوياء السواعد
وان تجد لك منزلا سعيدا »(٤١)

ومن الصفات المهمة الاخرى التي اشتهرت بها عشتار كونها الهة الحرب عند سكان وادي الرافدين حتى انهم لقبوها بسيدة الحرب (belet Tahazi) وسيدة المعركة (belet qabli) .(٤٢) ومن الغريب حقا ان تجمع الهة الحب في شخصها مثل هذه الصفة التي تتناقض كليا مع صفتها الاولى والرئيسة أي كونها الهة الحب والجنس . وليس هناك من تفسير أكيد لظاهرة التناقض هذه . فبعض الباحثين يرى ان في ذلك « تبلور لفكرة مفادها ان عشتار كانت على صلة بحياة الانسان سواء عندما تغنى في خضم المعركة أو عندما تخلق في لهيب العاطفة واتصال الجنسين »(٤٣) . ومنهم من يعزو هذه الازدواجية الى ان عشتار ، وهي نجمة الزهرة التي تظهر أحيانا عند المساء وأحيانا وقت السحر ، ربما قد أثرت بطريقة أو أخرى فاكسبتها صفة التناقض . وفي اعتقادنا ان هذا التناقض في شخصية الالهة عشتار لا يستبعد ان يكون ناتجا عن التقاء مفهومين متباينين عنها اصلا . الاول ، والارجح انه الاقدم في وادي الرافدين ، يجعل منها الهة للحب والجنس . والثاني ولعله من المفاهيم التي جاء بها الساميون ، يجعل منها الهة الحرب . ومعنى ذلك انه بمرور الزمن ونتيجة لامتزاج المفاهيم السومرية ـ السامية الخاصة بالالهة ان ـ انا (عشتار) فقد أصبحت هذه الالهة توصف تارة بانها ربة الحب وتارة أخرى بانها ربة الحرب ، ولذلك نجد ان « الهة الحرب » أصبحت من الصفات التي لم يقتصر اطلاقها على عشتار في النصوص الاكدية بل اطلقت على ان ـ انا في النصوص السومرية أيضا .

ويجد الباحث اشارات الى الالهة ان ـ انا (عشتار) بشخصيتها الجديدة « الهة الحرب » في النصوص المسمارية كما يجدها ممثلة على بعض الآثار الفنية . وبقدر ما يتعلق الامر بالنصوص المسمارية منها تشمل تقريبا مختلف العصور التاريخية من حضارة وادي الرافدين . ونذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ، ان الملك السومري اوتوحيكال (٢١٢٠ ـ ٢١١٤ ق.م) ادعى في وثيقة حربه مع الكوتيين ان الالهة ان ـ انا « لبوة الحرب » هي التي اعطته السلاح لسحق الكوتيين وطردهم من البلاد(٤٤) . غير ان فترة سيادة الاشوريين كانت من دون شك في اشهر الفترات التي بلغت فيها الالهة عشتار منزلة عظيمة باعتبارها الهة للحرب ، حتى انها أصبحت الهة الامبراطورية في هذا

---

(٤١) Gordon, Sumerian Proverbs, p. 115, I : 147.

(٤٢) انظر مثلا : CAD, Vol. 2, p. 189. ويجد القارىء مزيدا من التفاصيل حول نعوت واوصاف وخصائص الالهة ان ـ انا (عشتار) في الصفحات ٣٣٠ ـ ٣٣٨ من كتاب :
Tallquist, Akkadische Gotterepitheta.

(٤٣) Saggs, The Greatness That was Babylon, p. 333.

(٤٤) Godd, A Sumerian Reading-Book, p. 67.

المضمار وأصبحت كل من مدينة نينوى وأربيل من المراكز الرئيسة لعبادتها • وقـد اقترن اسم الالهـة بهـاتين المدينتين فعـرفت في النصـوص المسـمارية بـ « عشـتار نينوى » و « عشـتار أربيـل »[٤٥] • وقد وصلتنـا نمـاذج كتابيـة متنـوعة ممـا يلقـي الضـوء على « عشـتار الهـة الحـرب » عنـد الآشوريين • ونذكر من ذلك على سبيل المثـال مجموعة من **الاقوال الالهيـة** (Oracles) ، من زمن الملك الاشوري اسرحدون (٦٨٠ ـ ٦٦٩ ق•م) ، التي اوحت بها الالهة الى نسوة من أربيل ، بعضهن من كاهنات المعبد والتي يتضح من خلالها مقدار الثقة التي كان يضعها الملوك الآشوريون في الهتهم عشتار في أمور الحرب لتحقيق النصر على الاعداء[٤٦] •

ومن الكتابات المهمة بهذا الشأن أيضا نص من زمن الملك آشور بانيبال يعود تأريخ تدوينه الى عام ٦٤٨ ق•م • ويتضمن اقوال الالهة عشتار الى الملك • ويظهر من النص ان الملك الاشوري قد قصد معبد الالهة في أربيل ليتعبد اليها ويسألها العون على خصمه تأومان(Teumman)، ملك بلاد عيلام • ومن الطريف ان اقوال الالهة قد صيغت بشكل حلم رآه كاهن معبدها في أربيل فقصه في اليوم التالي على الملك • اذ جاء في النص انه « لما سمعت الالهة عشتار تنهداتي الحائرة قالت لي : « لا تخف » ، فملأت (بذلك) قلبي ثقـة • ثم (قالت) : « انني رحيمة بقدر ما ارتفعت يداك للصلاة واغرورقت عيناك بالدموع » • وفي الليلة التي مثلت فيها امامها (عشتار) ، نام العراف ورأى حلما ، وعندما افاق (ادرك) ان عشتار كانت قد ارتـه رؤيا في الليل ، فقص عليّ (ما رأى) وقال : « جاءت عشتار التي تسكن أربيل والكنائن تتدلى عن يمينها وشمالها • كانت تحمل القوس بيدها وكان السيف مشهورا للمعركة • وكنت واقفا امامها • فكلمتك وكأنها امك التي ولدتك • لقـد نادتك عشتار المعظمة بين الالهـة واعطتك الوصايا التالية : « سوف تكمل انجـاز اوامري واني سأتقدم حيثما وليت وجهك • انك قلت لي يا سـيدة السـماء دعني اذهب معك حيثما تذهبين » • ثم اضافت قائلة : « ستبقى انت هنا ، حيث مسكن الالـه نابو ، كل الطعـام واشرب الخمر واستمتع بالموسيقى ، وامدح الوهيتي ، في حين أذهب أنا وانجز تلك المهمة لاجل ان تنال ما يصبو اليه قلبك • وليس هناك ما يبرر شحوب وجهك ، ولا تعب قدميك ، ولا خيبة قوتك في ميدان المعركة » • (ثم) ضمتك الى صدرهـا الحبيب وحمت كل جسمك •

---

(٤٥) في الحقيقة بقيت عشتار مشهورة بكونها الهة الحرب الى آخـر العصور التاريخيـة مـن حضارة وادي الرافدين ، فهناك ترنيمة مسمارية يعود تاريخهـا الى فترة متأخرة (العصر البابلي الحديث او العصر السلوقي) مدونـة باللغتين السومرية والاكدية ويدور موضوع الترنيمة حول تمجيد الالهة ان ـ انا (عشتار) واعلاء شأنها على يد آنو اله السماء • وتوصف الالهـة ان ـ انا في الرقيم الرابع من الترنيمة بانها «الهة الحرب» وتشبه «بالسهم الـذي ينفذ الى القلب والرئتين وانهـا الالهـة التي تمرست في فنـون الحـرب فأصبحت تتحكم في المعركة وكأنها دمية في يدها » وتذكر الترنيمة ايضا اسلحتها الالهية كالفأس المزدوجة والسيف والقوس والسهام والدرع ••• انظر: Hrushka, "Das spätbabylonische Lehrgedicht Inannas Erhohung", ArOr, 37, pp. 473-522.

(٤٦) ANET, p. 449.

(ورأيت) نارا تشتعل امامها آنذاك • انها مستزحف الى جانبك لقهر أعدائك • انها توجهت ضد تأومان ، ملك عيلام ، الـذي حقـدت عليه[٤٧] » •

وقـد تناول الفنانون أيضا شخصية عشتار الهة الحرب على بعض الاختام الاسطوانية والقطع الفنية • ونذكر من ذلك ختما اسطوانيا يعـود تاريخه الى عصر ايسن ـ لارسا أو العصر البابلي القديم (أي الفترة بين ٢٠٠٠ ـ ١٦٠٠ ق٠م) عليه صورة تمثل عشـتار وهي تحمل أسلحتها وتتخذ وضعية توحي للناظر بانها في حركة وان في شخصها القوة والشباب • وفي الغالب تتسلح الهـة الحـرب بالسيف المقـوس Simitar والصولجان ذي الرأسين • وهناك أسلحة أخرى تشـاهد بارزة خلف كتفيها • وتظهر الالهة في مثل هذه الاختام وهي تخطو باحدى قدميها الى الامـام بينمـا تضع قدمها الاخرى فوق اسد ، حيوانها المفضل • وتشاهد في أختام أخرى وهي تقف على أسدين[٤٨] •

ومن الاختام الفريدة بهذا الخصوص ختم آشوري يعـود تاريخـه الى النصف الاول من الالف الاول قبل الميلاد ، صور عليه مشهد يمثل متعبدا يقف أمام الالهة عشتار والتي كانت تقف بدورها على لبوة بالقرب من نخلة • وتظهـر الالهـة وهي تحمل أسلحتها المؤلفة من القوس والكنانة والسيف ويظهر فوق رأسها النجمـة الثمانية ، كما يظهر بالقرب منها مشـهد وعلين متشابكين[٤٩] •

وفي متحف اللوفر مسلة حجرية (ارتفاعها ½ ٤٧ انجا) عثر عليها في تل يلوسبا الواقع في أعالي الفرات ويعـود تاريخها الى القرن الثامن قبل الميـلاد • ويظهر على المسلة صورة منحوتة لالهـة الحرب عشتار وهي متسلحة وواقفة على ظهر أسد يبدو وكأنه في حالـة السـير الى الامام ، وتمسك الالهة بمقود ينتهي حول رقبـة الاسد بينما ترفع يدها اليمنى الى مستوى الوجه وكأنها بذلك تعطي أوامر الزحف • ويظهر فوق رأس الالهة النجمة الثمانية أيضا[٥٠] •

وبالمثل فقد أصبحت الصفات الخاصة بالاله الخصب تموز من المواضيع التي تناولها الفنانون القدماء على الاختام الاسطوانية • فلانه الاله الذي يعزى اليه نمو النباتات وتكاثر الحيوانات لذا فانه يظهر على بعض الاختام وأغصان النبات تتفرع من حواليـه ومن يديه وكتفيه ورأسـه وحتى من بدلته[٥١] •

ويظهر الاله تموز في ختم آخر من العصر الاكدي وهو جالس على عرشه وقد امسك بيده غصنا بينما تقف خلفه معزى • وتشاهده في ختم آخر من نفس العصر جالسا يحمل بيده غصنا وأمامه تنتصب معزى على قائمتيهما الخلفيتين بينما تضع القائمتين الاماميتين على ركبتى الاله لتأكل من الغصن الذي في يده[٥٢] •

---

(٤٧) Ibid., p. 450-451.

(٤٨) Frankfort, Cylinder Seals, XXV; and p. 170.

(٤٩) Parrot, Nineveh and Babylon, p. 161, no. 203.

(٥٠) Ibid., p. 76, no. 85.

(٥١) Frankfort, op. cit., pl. XX C and p. 114.

(٥٢) Ibid., pl. XX b, d.

ومن المعروف عن الاله دموزي (تموز) انـه يتصف بالمـوت والبعث سـنويا تبعـا لتغير الفصول ، وقـد انعكست هذه الفكرة في بعض المشـاهد على الاختـام الاسطوانية • ونذكر من ذلك ختما من العصر الاكدي عليه مشهد يمثل الاله تموز وهو يخرج من تحت جبل[٥٣] على ما يبدو ، بينما تظهر الهة جالسة على الارض وهي تمد يدها لاعاقته على الخروج • ويظهر من جهة اليسـار من هـذا المشـهد اله ينتزع الاشـجار والنباتات من فوق الجبل • ويعتقد بعض الباحثين ان هـذا الاله يرمز الى دور الشمس في أشهر الصيف المحرقة حيث تسبب جفـاف المزروعات واختفاء الخضرة من الارض • وبموجب ذلك يكون الجزء الاول من المشهد تعبيرا عن فكرة بعث تموز وما يصاحب ذلك من عودة الحياة الى مظاهر الطبيعة المختلفة ، اما الجـزء الثاني فانه يرمز الى موته في موسم الصيف[٥٤] •

من المعروف عن الاله ان ـ انا (عشتار) ، حسب قوائم الانساب للآلهة انها ابنة سن (Sin) اله القمر ، وان امها كانت الالهة تنكال (Ningal) وان لها اخاً هو اوتو (Utu) اله الشمس • غير ان بعض النصوص المسمارية تنسبها خلافا لذلك فتجعلها مرة ابنة لآنو (Anu) ومرة زوجة له • وينبغي أن يلاحظ بان مثل هذه الاختلافات ليست على قـدر كبـير مـن الاهميـة اذ ان علاقـات الالهة مع بعضها وكـذلك المراكـز التـي تحتلها غير ثابتة على الدوام • فهي تتغير تبعـا للمؤثرات السياسية أو الكهنوتية وبقـدر ما يتعلق الامـر بالالـه آنو فمن المعـروف عن سلطته انهـا بدأت تضعف في عصر مبكـر من تاريخ بلاد سومر حتى ان بعض الالهة ، مثـل الاله انليل (Enlil) ، بدأت تلقب بألقابه مثـل « ابي الالهة » و « ملك الالهة » • ومن جهـة أخرى فان وجود مركز عبـادة الالهة ان ـ انا (عشتار) في نفس مدينة الوركاء حيث كان يعبد الاله آنو أيضا ، لابد وان اسهم في خجب اهمية عبـادة آنو واضعاف شأن معبده • ولذلك فان

---

(٥٣) من الجدير بالذكر ان الكلمة السومرية Kur كانت تستخدم للدلالة على «جبل» وعلى «العالم السفلي» ايضا • • • • • •

(٥٤) Frankfort, Ibid., pl. XXI a and p. 117-118.

مما تجدر الاشارة اليه ان هناك ختما آخر من العصر نفسه أيضا محفور عليه مشهد مماثل من حيث الفكرة لهـذا الختم موضوع البحث • فهو يمثل الاله شمس وهو يخرج من قبره فـي جبل الامـوات بموجب تفسير بعض الباحثين • وعلى الرغم من ان الختم يتعلق بالاله شمش الا انه في موضوعه يتضمن نفس فكرة موت الالـه وبعثه • ولذلك فانه في غير المستبعد أن تكـون بعض صفات اله النبات قد نسبت الى الاله شمش خاصة وان هذا العصر (الاكدي) الذي يعود اليه الختم يقترن بسيادة الساميين • واذا ما صرفنا النظر عن بعض التفصيلات فان أهم ما يذكر عن هذا الختم رسم الاله شمش اثناء بزوغه من قبره الجبلي وهو يحمل بيده منشارا واشعة الشمس تنبعث من كتفه ويظهر الى اليمين من ذلك الاله ايا وهو يضع احدى قدميه على الجبل كما يظهـر الطبـائر انـزو (Anzu) باسـطا جناحيـه والذي يعتقد انه رمز للقوى الشريرة مما تسبب موت الاله • والى اليسار من القبر تظهر الهـة يعتقد انها عشتار والى جانبها شجرة تعبر عـن معنى الخضرة المقترنة بعودة الالـه الى الحياة • (انظر حول مزيد من التفاصيل)
Frankfort, Ibid., pp. 105-108, and pl. XIXa.

المآثر التي تجعل من آنو زوجا للالهة عشتار انما تعكس في الواقع محاولة من جانب كهنة معبد هذا الاله لاسترداد مكانته عن طريق اقرانه باعظم الالهات واسماهن منزلة(٥٥) .

كان مركز عبادة الالهة ان ـ انا في مدينة الوركاء التي بقيت تتمتع بسبب ذلك بشهرة واسعة في خلال كل العصور من تاريخ وادي الرافدين ، ولقد كانت الوركاء من المدن العريقة في القدم حيث يعود زمن استيطانها الى الالف الخامس قبل الميلاد . كما ان شهرتها أخذت تتعاظم ابتداء من الالف الرابع قبل الميلاد . وتقع اطلال المدينة اليوم وسط صحراء تبعد مسافة ٦٠كم عن مدينة السماوة . وكان نهر الفرات يمر بها في العصور القديمة الا انه أصبح يبعد عنها الآن مسافة ١٢كم . وقد عرفت هذه المدينة أيام السومريين باسم اونوك (Unug) وجاء ذكرها في التوراة بصيغة « ارك » (Erech)

ولقد استمدت مدينة الوركاء شهرتها بين بقية المدن الاخرى من مسببات عديدة . فهي أولا من المراكز الحضارية السومرية التي شهدت مولد منجزات حضارية مهمة كانت لها آثارها في تاريخ وادي الرافدين والامم القديمة الاخرى على حد سواء . ونذكر من ذلك اختراع الكتابة وصناعة الاختام الاسطوانية وبناء الزقورة وظهور النحت وغير ذلك مما كان بمثابة حجر الزاوية في البناء الحضاري . ومن جهة أخرى فقد كانت الوركاء أيضا من المراكز السياسية التي قامت فيها سلالات حاكمة كان من اشهرها سلالة الوركاء الاولى (٢٧٥٠ ـ ٢٥٥٠ ق.م) التي خلد التاريخ مآثر عدد من ملوكها الاثني عشر من أمثال انميركار (Enmerkar) ولوكال بندا (Lugalbanda) وكلكامش (Gelgamesh) .

وتنعكس أهمية الوركاء باعتبارها مركزا دينيا وحضاريا في عمرها الطويل حيث تعاقب على استيطانها أقوام من أزمان مختلفة يرجع اقدمها الى عصور ما قبل التاريخ وآخرها الى العصر الساساني . وكان طبيعيا لذلك ان تتكون المدينة من طبقات سكنية متلاحقة حتى بلغ عددها اثنتا عشرة طبقة في العصور التاريخية المنتهية بعصر فجر السلالات وثماني عشرة طبقة أخرى للعصور التاريخية التي سبقتها والتي يرجع تاريخ اقدمها (الثامنة عشر) الى حدود ٤٠٠٠ قبل الميلاد . وكان للوركاء سور دائري طوله ٩ر٥كم وعرضه سبعة أمتار تقريبا وكانت عليه من الداخل سلسلة من الابراج البارزة .

على ان من أهم الاسباب التي أعطت مدينة الوركاء شهرتها وأهميتها اتخاذها منذ أقدم العصور مركزا لعبادة الالهة ان ـ انا (عشتار)

---

(٥٥) انعكست محاولة كهنة الوركاء في تاليف بابلي يذكر ان الاله آنو كان في حب مع الالهة عشتار وانه لذلك اقتسم معها تاجه وسماها بعد الزواج انتو (Antu) [صيغة مؤنثة من آنو] . ولا يستبعد ان ما وصلنا من كتابات تتعلق «بتمجيد» الالهة عشتار ورفع منزلتها بين الالهة على يد آنو ، ما هي الامحاولة يائسة من جانب كهنة الوركاء لغرض اضفاء مسحة من الاهمية على عبادة آنو واظهاره بمظهر الاله القادر على اعلاء منزلة الالهة الاخرى ، انظر :

Hrushka, "Das spätbabylonische Lehrgedicht Inanns", AROR, 37 (1969), p. 473; Contenau, Everyday Life in Babylonia and Assyria, p. 198-199.

في معبدها المعروف اي ـ انا (Eanna) ولعبـادة الاله آنو ، اله السماء ، في معبده المعروف بالمعبد « الابيض » • وكان معبـد اي ـ انا يشكل في الواقع قطاعا كبيرا في القسم الشرقي في المدينـة ويتكون من أبنية وساحات تحيط بزقورة المعبد • وكدليل على أهمية هذا المعبد فانه حظى بسلسلة من التجديدات والتوسـيعات منـذ أقـدم ادواره وحتى العصر الاخميني • وقـد كشفت التنقيات عن أقدم بقايا معبد اي ـ انا في الطبقة السادسة ومعنى ذلـك انـه يرقى الى الالف الرابع قبـل الميلاد • ويظهر ان المعـابد القديمة في الوركاء (أي معابد الطبقات الرابعة والخامسة والسادسة) كانت مثـل معـابد عصر العبيد السابق تتصف بواجهة ذات طلعات وبمصلى طويل تحيط بـه غرف صغيرة ، وقد كانت الطلعات والاعمدة التي تقوم عليها سقوف المعبد مزينة بزخارف هندسية صنعت بغرز مسامير طينية ملونة في الجدار يبلغ طول الواحد منها بين ثلاثة وأربعة انجات • ولقد عثر على ستة معابد من هذا النوع في ثلاث طبقات متلاحقة (السادسة والخامسة والرابعة) أي على معبدين في كل طبقة • ويفسر الاستاذ لنزن هذا الترتيب الزوجي للمعابد بانها ربما كانت مخصصة لعبادة الالهة ان ـ انا (عشتار) وزوجها دموزي (تموز)[٥٦] •

وفي جهة أخرى من مدينـة الوركاء كان يقـع معبـد الاله آنو الذي يعرف بين الآثاريين بالمعبد الابيض (نسبة الى طلاء الجص الابيض على جدرانه) • وما يزال هذا المعبد قائما على مصطبة من اللبن ترتفع بمقـدار ٥٠ قدما عـن السهل • وقد تبين من التنقيات ان هذا المعبد ، مثـل معبـد اي ـ انا ، يعود الى عصور ما قبل التاريخ وانه أيضا جدد مرات عديدة • ويظهر ان معبد الاله آنو كان من المراكز الدينية المهمة في العصور الاولى وخاصة العبيد والوركاء وجمدة نصر • الا انه أخذ يفقد اهميته تدريجيا بالنظر لتزايد شأن عبـادة الالهة ان ـ انا في معبدها في المدينة نفسها •

ان اقتران اسم الالهة ان ـ انا (عشتار) بمدينة الوركاء باعتبارها مركزا دينيا لعبادتها ، كان لـه أهمية من وجهة نظر الاقدمين انفسهم حتى انهم نسجوا حول ذلك أكثر من اسطورة تتحدث عن حرص الالهة على اعمار المدينة وتوفير الرخـاء والازدهار لسكانها • ونذكر من ذلك الاسـطورة السـومرية المعـروفة بين المختصـين بـ « انكي و ان ـ انا » التي تتناول رحلة الالهة ان ـ انا الى مدينة اريدو حيث كان يسكن انكي ، اله الحكمة والمعرفة والذي « يعرف ما تنطـوي عليه قلوب الالهة » • وكانت غاية ان ـ انا من رحلتهـا ان تحصل على النواميس الالهية لفنون الحضارة (في السومرية : ME) وتنقلهـا الى الوركاء لتجعل منها مدينة متحضرة[٥٧] •

وتذكر الاسطورة انـه لما علم الاله انكي

---

(٥٦) Lenzen, "Die Tempel der Schicht Archaisch IV in Uruk", ZA (1949), pp. 9, 20.

(٥٧) من القضايا الاساسية في الفكر الديني عنـد السـومريين انهـم اعتبروا مظاهـر وفنون الحضارة من صنع الالهة • وبتعبير آخر فان ما يزخر به المجتمع البشري من قيم ومفاهيم سواء كانت في نطـاق النظـم والعـادات والفنـون والصناعات أم في نطاق الفكر والعقيدة فان كلا

بمقدم الالهة ان ـ انا طلب من رسوله اسيمود (Isimud) ان يستقبلها بكل مظاهر الترحيب وان يعد لها مائدة فخمة فيها ما لذ وطاب من الاكل والشراب • ففعل اسيمود كما امره سيده • وجلس الاله انكي وضيفته ان ـ انا الى المائدة وأخذا يتناولان الخمرة • فاكثر انكي من الشراب حتى لعبت الخمرة بعقله • وفي نشوة سكرته اخذ الاله يسرف في تكريم ضيفته حتى انه اهداها كل ما بحوزته من « فنون الحضارة »[٥٨] •

وقبل ان يحل الصباح كانت ان ـ انا في طريقها الى مدينتها الوركاء على قارب محمل بفنون الحضارة التي اهداها لها انكي • وعندما أفاق الاله انكي من سكره ادرك تواً جسامة الخطأ الذي وقع فيه اذ لم يبق في حوزته شيء من تلك الفنون ، وعلى الفور امر رسوله اسيمود ان يأخذ معه زمرة من الشياطين ويسترد القارب وما عليه من « فنون » وان يؤمن وصول الالهة ان ـ انا الى مدينتها الوركاء سيراً على الاقدام • فذهب اسيمود وامسك بالقارب واخبر الالهة ان ـ انا بان الاله انكي قد غير رأيه بشأن هديته التي قدمها لها بالامس • وحاولت الالهة اقناع الرسول لاخلاء سبيل القارب ولكن دون جدوى وأزاء ذلك استنجدت ان ـ انا بوزيرها ننشوبر (Ninshubur) ليخلصها من اسيمود وزمرته • وبالفعل استطاع ننشوبر من اغاثة الالهة فسار القارب نحو الوركاء ولكن سرعان ما استولى عليه اسيمود مرة ثانية • وتستمر القصة على هذا المنوال فكلما وقع القارب في حوزة اسيمود جاء ننشوبر بحيلة تخلصه •

منها كان يخلق وينظم وفق قوة الهية سماها السومريون ME والتي ترجمها الاكديون الى لغتهم بكلمة Parsu • ويمكن القول بصورة عامة ان كلمة ME تعني النواميس الالهية الخاصة بخلق تنظيم اية ظاهرة في المجتمع البشري سواء كانت مفيدة أم مضرة ، حسنة أم سيئة • فالصدق والعدل والسلام وكذلك الكذب والرعب والدمار ••• كانت من مظاهر الحضارة وكان لكل منها ME او ناموس الهي •

(٥٨) يعرف انكي بكونه الاله الذي بحوزته «النواميس الالهية» المبدعة لاسباب الرخاء وفنون الحضارة • وهناك اسطورة سومرية تعرف بين المختصين باسطورة «انكي ونظام الكون» تتحدث عن قيام هذه الاله برحلة الى اجزاء العالم المعروفة آنذاك لنشر اسباب الرخاء والتمدن • وقد كانت سومر أول بلد يباركه الاله • وتذكر الاسطورة انه بعد أن انتهى انكي من رحلته بدأ بتنظيم شؤون الارض والانهار والبحار • فملأ دجلة والفرات بالماء العذب وبالاسماك واقام غابات القصب في الاهوار • ثم خلق المحراث ليفيد منه الناس في الزراعة واليه يعزى ايضا خلق الفاس والآجر ونمو الغابات في الجبال وتكاثر الحيوانات • وبموجب هذه الاسطورة فان الاله انكي وضع كل ماخلق من اسباب الرخاء في عهدة آلهة معينة لتتولى الاشراف وتتحمل المسؤوليات • فجعل الاله (Embilulu) مشرفا على الانهار والاله Enkimdu على الزراعة والفلاحة والاله Ashnan على الحبوب والخضروات والاله Dumuzi على الماشية وحظائرها • وبهذه الطريقة يكون الاله انكي قد نشر كل اسباب الرخاء في الارض وفي وادي الرافدين على وجه الخصوص بتنظيمه مظاهر الطبيعة وتوزيعه المسؤوليات بين الالهة وكان الكون في ذلك كله اشبه مايكون «بدولة نظمتها يد ادارية قديرة» على حد تعبير الاستاذ جاكبسون :

Before Philosophy, p. 174-75.

(اما بخصوص النص السومري لهذه الاسطورة مع ترجمته والتعليق عليه فيراجع Bernhardt and Kramer, Enki und die Welt-ordung).

وأخيرا وصل قارب الالهة محملا بفنون الحضارة الى مدينة الوركاء فكان ذلك مدعاة لاقامة احتفال كبير •

وينعكس ارتباط الالهـة ان ـ انا بمدينتها الوركاء في مقطوعة سومرية أخـرى تعـرف باسطورة « ان ـ انا وشـجرة الخالوب »[٥٩] • وملخص هذه الاسطورة ان الالهة رأت ذات يوم ان الريح كانت تعصف بقسوة بشـجرة تنبت على ضفة نهر الفرات فاشفقت عليها ولذلك نقلتها الى الوركاء حيث زرعتها مجـددا في « بستانها المقدس » على أمل ان تصنع من خشبها عرشـا وسريرا • ثم مضـت السنين وكبرت الشجرة وعزمت الالهة على قطعها الا انها لم تستطع من ذلك لانها وجدت ان الحية قد اتخذت من أسفلها مخبأ وان الطائر امدكود[٦٠] (Imdugud) بنى له في أعلاها عشاً وان العفريتـــه ليليت (Lilith) استقرت في وسطها • وأزاء تلك الصعوبات التي حالت دون تحقيق رغبتها في قطع الشجرة فانهـا أخـذت تبكي • فلمـا سمع أخوها اوتو ، انه الشمس ، بكاءها اشفق عليها وأرسل الى نجدتها البطـل المعروف كلكامش • وتذكر الاسطورة ان كلكامش جـاء متسلحا بدرع سميك وفأس ثقيلة وانه تمكن من قتل الحية وعندئذ فر الطائر امددكود الى الجبـال العاليـة وهربت العفـريته ليليث الى الخرائب المهجـورة حيث تعـودت ان تعيش • وأخيرا قطع جلجامش الشجرة وجاء بها هدية الى الالهة ان ـ انا لتصنع منهـا عرشـا وسريرا[٦١] •

---

(٥٩) لايعرف على وجه التحديد نوع شجرة الخالوب وان كان بعض الباحثين يعتقد انهـا الخلاب (نوع من الصفصاف) على اساس التشابه اللفظي فقط • وعلى الرغم من ان الاسطورة تذكر بان هذه الشجرة تنبت على ضفاف الفرات ، فان دراسـة الاشارات الـواردة عنها في النصوص المسمارية الاخـرى تدل عـلى ان خشبها كان يستورد من الخارج وانه كان يستعمل في صناعة الاثاث • ولذلك فانه من غير المحتمل ان تكون شجرة الخالوب من صنف الصفصاف ، ولكنها من المحتمل ان تكون شجرة البلوط • حـول مزيد من التفصيلات ، انظر :
CAD, Vol. 6, p. 55-56.

(٦٠) من المحتمل ان تكون قراءة اسم هـذا الاله بشكل انزو (Anzu)
Landsberger, WZKM 59 (1961), pp. 1-26.
ومن المعروف عن هذا الطائر انه كان الها وكثيرا مايرد ذكره في نصوص سلالة لكش الثانية باعتباره رمزا للاله ننكرسو ، اله المدينة • ويظهر مـن القطع الفنية الاثريـة ان الاقدمين تصورا هذا الاله بشكل مركب له رأس أسـد وجسـم صقـر بجناحـين واسـعين وتجعله المصـادر (Parrot, Sumer, p. 58-59) المسمارية ابنا لآنو اله السماء •

(٦١) كان متوقعـا ان تأتي الاسـطورة الى نهاية طبيعية في هذا الوضع ، ولكـن لسبب او لآخر فانها تستمر في سرد تفصيلات الحوادث التي وقعت بعد قطع الشجرة ، والحقيقة فان تلك التفصيلات تعتبر على جانب كبير مـن الاهمية بالنسبة للباحث في المعتقدات الخاصة بعالم الاموات عند سكان وادي الرافدين • فقد ورد أن الالهة ان ـ انا ، رغبة منها في مكافأة كلكامش ، فانهـا صنعت له من خشب الشجرة حاجتين (لا نستطيع تشخيصها على وجه التحديد في الوقت الحاضر) وقدمتهما هدية لـه • وتشاء الصدف ان تسقط الهدية مـن يد كلكامش في العـالم السفلي عـن طـريق فتحة في الارض ، فاستغاث كلكامش برفيقه انكيدو ليستعيدها له • وتقول الاسطورة ان انكيدوا نزل الى العالم السفلي واسـتعاد الحاجات العـائدة الى كلكامش وان الاخـير بدأ يستفسر منه عما شاهده في عالم الاموات وخاصة عن الموتى الذين خلقوا ذريـة • ومن الطريف ذكره ان كلكامش بدأ بالسؤال عن حـال من

ان الحديث عن الالهة ان ــ انا وعن مدينتها الوركاء يقودنا بدوره الى الحديث عن قطعة أدبية فريدة تصف لنا كيف ان الهة الحب والجنس قد أحبت بطل الوركاء وملكها كلكامش • والحقيقة فان هذه القطعة التي نحن بصددها الآن لم تصلنا بشكل تأليف مستقل وانما كانت جزءاً من ملحمة كلكامش حيث انها شملت الرقيم السادس كله • اذ تذكر الملحمة ان كلكامش ، بعد رجوعه ظافرا من معركته الرهيبة مع هواوا(Huwawa) العفريت الموكل بحراسة غابات الارز ، خلع ملابسه واغتسل ثم ارتدى ثيابا نظيفة وتمنطق بالحزام ووضع التاج على رأسه • وآنذاك نظرت اليه الالهة عشتار فاسرها جماله وادهشتها رجولته[٦٢] واعجبت به أشد اعجاب • ولذلك فانها عرضت عليه ان يتزوجها قائلة :

« تعال يا كلكامش وكن حبيبا لي ،
تعال وامنحني من « ثمرتك » ،
(تعال) وكن زوجا لي واكون زوجتك ،
واني سأعد لك عربة من اللازورد والذهب
عجلاتها من الذهب وقرناها من البرونز •
وستكون لك شياطين العاصفة لتشد عليها بدلا من البغال الضخمة •
وستدخل بيتنا على نفحات الارز ،
وعندما تدخل البيت ،
ستقبل العتبة والدكة قديمك ،
وسيمثل الملوك والحكام والامراء بين يديك
ليقدموا لك الجزية : محاصيل الجبال والسهول •
وستضع عنزاتك « ثلاثا ثلاثا » ونعاجك « التوائم »
وستكسب خيول عربتك شهرة في السبق
وسيفوق حمارك في الحمل بغلك
ولن يكون لثورك مثيل تحت النير »[٦٣]

وكان من المتوقع أزاء هذه العروض المغرية ان يرضى كلكامش بالزواج من عشتار أو ان يعتذر بلطف • ولكن مما يدعو الى الاستغراب والتساؤل ان يتطاول كلكامش على الالهة عشتار فيكيل لها سيلا من الشتائم وان يشهر بها أفظع تشهير :

« ماذا عليّ ان اقدم لك لو تزوجتك ؟
هل اقدم الزيت والكساء للجسد ؟
هل اقدم الخبز والطعام ؟
••• طعاما يليق بالالوهية
••• شرابا يليق بالملوكية
[ينكسر الرقيم في هذا الموضع ولثلاثة اسطر]
••• اذا ما تزوجتك ؟

كان له ولد واحد ثم تدرج بعد ذلك حتى سأله عن حال من كان له سبعة أولاد • فوصف له انكيدو حال كل واحد من اولئك الاباء • ويظهر ان اكثرهم حظوة في العالم السفلي من كان له اولاد كثيرون لانه كان «اقربهم منزلة من الالهة على حد قول انكيدو • ومعنى ذلك ان السومريين كانوا يعتقدون بان انجاب وتربية الاطفال تجلب لروح الاب بعض السعادة والراحة في العالم السفلي وان الاجر على قدر المشقة» فكلما كثر عدد الاولاد زاد عناء الاب وبالتالي تزداد المكافاة له في العالم الاخر :

Kramer, Sumerian Mythology (Harper Torchbook), pp. 33ff.

(٦٢) تذكر المصادر المسمارية عن كلكامش، أن اله الشمس ، قد وهبه جمالا فتانا وان أدد اله الرعد ، اعطاه قوة خارقة •

(٦٣) Speiser, "The Epic of Gilgamesh", ANET, pp. 83-85.

ما انت الا موقد سرعان ما تخمد ناره في البرد ،
وباب في الخلف لا [ينفع في صد] ريح أو عاصفة ،
وقصر يحطم البطل الـ ...
وبئر (؟) ابتلع (؟) غطاءه ،
وقير [يلوث] حامله ،
وقربة تبلل حاملها ،
ومرمر ... جدار الحجر
وآلة حصار[٦٤] ... بلاد الاعداء
ونعل يقرص قدم منتعله .
فأي حبيب بقيت على حبه الى الابد ؟
واي من رعاتك من طاب لك على الدوام ؟
تعالي اسمي لك عشاقك
فمن ...
ومن اجل تموز حبيب صباك
كتب عليك البكاء عاما بعد عام .
وبعدما احببت الطائر ـ الراعي المرقط
فقد ضربته وكسرت جناحه ،
وها هـو قابع في البساتين[٦٥] يصيح « يا جناحي » .

ثم احببتِ الاسد ، الكامل في القوة ،
ولكن حفرت له سبع وسبع حفر ،
واحببت الحصان المشهور في المعركة
ولكن كتبت عليه السوط والمهماز والجلد ،
وكتبت عليه الجري سبعة فراسخ مضاعفة ،
وكتبت عليه شرب الماء العكر
وكتبت على امه « سيليلي » (Silili) البكاء .
ومن ثم احببت راعي القطيع
الذي كان يكدس لك أرغفـة الخبـز المحمصة على الدوام
ويذبح لك الجداء كل يوم
ولكنك ضربته ومسخته ذئباً
ولهذا صار رفاقه في الرعي يطاردونه
وصارت كلابه تعض فخذيه .
ومن ثم احببت ايشوللانو (Ishullanu)
بستاني ابيك ،
الذي كان يأتيك بسلال التمر على الدوام
ويجعل مائدتك ناظرة كل يوم
ولكنك رفعت عينيك اليه (وقلت له) :
« يا ايشوللانو ! دعنا نتذوق طعم رجولتك
مد « يدك » وتحسس أنوثتنا[٦٦] » .

---

(٦٤) اصبح اكيدا ان كلمة ashibu الاكدية ومرادفاتها السومرية gish. gud لا تعني غير الة الحصار المسماة بـ « الكبش » (battering ram) وهي الة استخدمتها جيوش الآشوريين لدك اسوار الاعداء ، ويعتبر الكبش من الاسلحة الثقيلة التي يمكن مقارنتها بالدبابة من حيث الشكل والوظيفة ، وكان هيكل الكبش يصنع عادة من الخشب القوي ويتحرك على عجلات وله عمود بارز بشكل القرن تدك به الاسوار . وتدل التسمية السومرية (gish. gud) « الثور الخشبي » ان الاقدمين ايضا شبهوا هذه الالة بالحيوان الناطح . ولا شك في أن التسمية السومرية «ثور» اكثر دقة ومطابقة لوصف هذه الاله الحربية الضخمة من كلمة «كبش» (ram) انظر: CAD, Vol. I part 2, p. 428.

(٦٥) وقع خطأ مطبعي في ترجمة الاستاذ مبايزر المشار اليها في الحاشية اذ وردت في هذا الموضع كلمة grooves (اخاديد) بينما الصحيح هو groves (بساتين) طبقا للنص البابلي .

(٦٦) في الحقيقة ان الكلمة الاكدية hurdatu لاتعني غير "Vulva" ،
انظر : CAD, Vol. 6, p. 249.

فقال لك ايشوللانو :
« ماذا تريدين مني ؟
اولم تخبز امي لآكل
حتى اتذوق طعاما معفونا مدنسا ؟
ثم متى كانت حصيرة الحلفاء غطاء يقي من البرد ؟
وعندما سمعت قوله هذا
ضربته ومسخته ...
وجعلته يعيش وسط ...
فلا هـو يستطيع الصعود ... ولا يستطيع النزول
فاذا ما احبيتني فانك ستجعليني مثلهم » .

بهذا الرد الذي ينطوي على السخرية والتشهير، سرد كلكامش مغامرات عشتار مع عشاقها وصور عـدم اخلاصها لأي منهم والنهاية المحزنة التي انتهى اليهـا كل منهم . وكان طبيعيـا ان تثور غاضبة وان تفكر في الانتقام لنفسها منه . ولذلك فانها صعدت الى السماء قاصدة أباها الالـه آنو وامهـا الالهة انتو . وبعـد ان شكت لهما من كلكامش ومن تشـهيره بها طلبت من ابيهـا اله السـماء ان يخلق لها ثورا سماويا يستطيع من منازلة كلكامش والقضاء عليـه . وقـد هددت الالهة اباها انه ما رفض استجابة الى طلبها فانها « ستحطم أبواب العالم السفلي فيخرج الاموات ليأكلوا الاحياء ... » وحاول آنو ان يبين لابنته عشـتار ان خلق الثور المطلوب سيكون نذيرا بحلول سبع سنين عجاف في البلاد بحيث لا يجد الناس طعاما ولا الحيوانات علفا[٦٧] . غـير ان الالهة طمأنته بانها اتخذت الحيطة لذلك فخزنت ما يكفي الناس من الطعام والحيوانات من العلف. وازاء اصرار ابنته عشتار لم يجد الاله آنو بدا من خلق الثور السماوي وانزاله في مدينة الوركاء .

وتعتبر الحوادث التالية من القصة في الواقع من اقدم وامتع ما حفظته المراجع المسمارية عن مصارعة للانسان مع الثور . اذ تذكر الملحمة ان الثـور السماوي انطلق يفتك بالناس في مدينـة الوركاء حتى انه كان يقتل مئات منهـم في كل خوار . وكان لزاما لايقافه عند حده ان ينبري له بطل الوركاء كلكامش مع رفيقه البطل انكيدو . وكانت الآلهة عشتار متحمسة بالطبع لمتابعة النزال عن كثب فاعتلت شرفات سـور المدينـة ويذكر الرقيم السادس من الملحمة ان الثور هجم أول

---

(٦٧) مـن الواضح ان الثور السماوي في ملحمة كلكامش كان وسيلة لاحلال العقاب الالهي بالبطل كلكامش ورفيقه انكيدو . بالدرجة الاولى. ولكن وعلى الرغم من ذلك فانـه فتك بالكثيرين من اهل الوركاء وكان سببا لاحلال الجدب فيها. اذ يذكر احـد النصوص السومرية ان كلكامش وصلته اخبار مفادها بان الثور السماوي اخـذ يرعى في سهول الوركاء ويشرب مـن مياه النهر ساعات طويلة وانه حيثما توجه للرعي حـل الجدب في ذلك المكان . وهناك عدد من الاختام الاسطوانيـة التي تنـاولت مشاهدهـا موضوع الثـور وعلاقتـه بالالهـة عشتار . ومنها ختم اسطواني تظهر عليه الالهة عشتار جالسة وقـد ربض امامها الثور بينما تظهر الى اليسار منهـا النجمة المثمنة . وهناك ختم آخر يصور الالهـة عشتار على ظهر حيوان خرافي مجنح وهي تمد يديها بينما ينهمر المطر من بينهما . ويظهر أمام الالهة مشهد يمثل رجلا وهو يطعن الثور بخنجر بين كتفيه . ويعتقد بعض الباحثين ان الثور يرمز الى الجفاف والقحط وان قتله يرمز الى القضـاء على الجفاف الذي عبر عنه في هذا المشهد بشـكل مطر ينزل من بين يدي الالهة ، انظر :

Frankfort, Cylinder Seals, p. 126 and pl. XXII e.g.,

الامر على انكيدو ، فتصدى له الاخير وحاول ان يمسك به من قرنيه الا ان الثور قذف زبده في وجه انكيدو ومن ثم لطمه بذيله الثقيل•ويبدو من سياق النص المخروم في هذا الموضع ، انه مرت لحظات حرجة كان البطلان خلالها في حيرة من الأمر ، ولكن في النهاية استطاع انكيدو من أن يمسك به من قرنيه الا ان الثور قذف زبده في كلكامش من أن يطعنه بسيفه طعنة مميتة بين سنامه وقرنيه • فلما رأت عشتار ما حل بثورها خاطبت كلكامش قائلة : « الويل لك ياكلكامش لأنك (أمعنت) في اهانتي بقتلك الثورالسماوي » ، وتذكر الملحمة انه لما سمع انكيدو دعاء عشتار اقتطع فخذ الثور وقذفه في وجهها قائلا : « لو نالتك يداي لفعلت بك مثلما فعلت به ولعلقت أحشاءه الى اطرافك » •

لا شك في ان ما ذكره كلكامش عن ماضي عشتار وتقبلها بين العشاق وما قاله انكيدوا لها من عبارات جارحة كان تشهيرا واضحا بالالهة • واذا ما عرفنا ان اسم عشتار يرتبط أصلا بطقوس الخصب التي تؤكد على أهمية الجنس لاستمرار الحياة ، فيكون من المعقول ان يتساءل المرء عما اذا كان استهجان كلكامش يعكس بالضرورة رد فعل اجتماعي ، على الأقل من وجهةنظره ، لبعض من القضايا الطقسية التي كانت تجرى باسم هذه الالهة في معابدها(٦٨) •

في الحقيقة ليس لدينا ما يثبت مثل هذه التأويلات بل على العكس تماما فانه يوجد في الملحمة نفسها ما يدل على ان كلكامش كان حريصا على الالهة عشتار ومعبدها وطقوسها • ونذكر من ذلك اهتمامه بمعبدها اي ـ انا (Eanna) الذي جاء ذكره في الرقيم الاول • كما نفهم من الرقيم الثاني بأن كلكامش كان في الحقيقة على اهبة الاستعداد لاقامة مراسم الزواج المقدس (Hieros Gamos) التي ترتبط أساسا بالهة الخصب ان ـ انا لولا أن يوقفه انكيدو ويشتبك معه في نزالهما المشهور في مدينة الوركاء وذلك قبل أن تتوطد بينهما أواصر الصداقة •

واذا كان السبب لثورة كلكامش على إلهته أمرا يكتنفه الغموض فانه من الواضح بأن مؤلف الملحمة ، ان صح استعمال مثل هذا التعبير(٦٩) ،

---

(٦٨) خاصة وان هناك من الدلائل ما يشير الى علاقة عشتار الوثيقة ببغايا المعبد وبغيرهن من بنات الهوى ، انظر على سبيل المثال الرقيم السادس من ملحمة كلكامش (ANET, p. 85 : 65-66). وكذلك : CAD, vol. 6, p. 101 sub harimtu.

(٦٩) اصبح اكيدا يفضل الابحاث المسمارية ان ملحمة كلكامش المدونة باللغة البابلية ترجع الى اصول سومرية قديمة • وهذه الاصول عبارة عن مجموعة من القصص السومرية المتفرقة التي تدور حوادثها حول مآثر كلكامش ، ملك الوركاء •

ومن تلك القصص ما يعرف بقصة « كلكامش واجا ملك كيش و « كلكامش وانكيدو والعالم السفلي» و «كلكامش وارض الحياة» و «كلكامش وثور السماء» ثم قصة «موت كلكامش» • ويرجع زمن تدوين هذه القصص السومرية الى نهاية الالف الثالث قبل الميلاد • وعلى الرغم من ان القصص هذه تتعلق كلها بكلكامش الا انها لاتشكل تأليفا واحدا مترابطا • واخيرا فان كتابتها تمثل المرحلة الاولى في عملية الجمع والتدوين لما عرف فيما بعد بملحمة كلكامش • اما المرحلة الثانية فانها جرت في العصر البابلي القديم وربما في زمن حمورابي اي في حدود ١٨٠٠ ق • م وكانت القصص السومرية مما سبق ذكره المصدر الاساسي في عملية التدوين الجديدة ، الا ان الادباء الساميين تمكنوا من نسج تلك القصص

قد تعمد وضع حوادث الفصل السادس بالصورة التي جاءت بها لتكون مسببات مسبقة لما سيجري في الفصل التالي له من الملحمة • فخلق الثور السماوي كان الغرض منه انزال العقاب بكلكامش لاهانته للألهة عشتار • ثم ان قتل الثور كان مدعاة هو الآخر لمعاقبة الرفيقين انكيدو وكلكامش • ولهذا نقرأ في مستهل الفصل السابع من الملحمة بأن الآلهة اجتمعت وقررت الحكم بالموت على واحد من البطلين وان الاختيار وقع في النهاية على انكيدو لسببين أولهما : لأنه رفض الاستجابة الى توسل وتضرع همبابا (Humbaba) عفريت غابات الارز للرحمة به وعدم قتله ، وثانيهما لأنه أسهم في قتل الثور السماوي وفي اهانة عشتار •

واذا كانت مكانة بعض الالهة تتغير أحيانا من عصر لآخر تبعا لتغير السلالات الحاكمة فيعلو شأن هذا الاله أو ذاك ، فانه من الملاحظ عن عبادة ومكانة الالهة ان ـ انا (عشتار) انها ظلت مزدهرة في خلال كل العصور من تاريخ وادي الرافدين وبدون انقطاع • ولقد رأينا من خلال حديثنا عن بعض المؤلفات الأدبية ، السومرية والبابلية ، كيف ان الهة الحب والحرب كانت تحتل حيزا كبيرا في الفكر الديني والمجال الادبي والفني في عصر فجر السلالات وعلى الخصوص ابتداء من سلالة الوركاء الاولى • ومن المعروف عن عبادة ان ـ انا (عشتار) في هذه الفترة المبكرة انها لم تكن مقصورة على مدن سومر وأكد فقط ، اذ كشفت التنقيبات في مدينة ماري التي تعتبر من مراكز القبائل السامية الى الغرب من وادي الرافدين ، عن معبد للالهة ان ـ انا يعود تاريخه الى عصر فجر السلالات وقد بنيت أسسه بالحجر وجدرانه بالطابوق •

وأهم ما يذكر عن عبادة الالهة عشتار في الفترة اللاحقة لعصر فجر السلالات مباشرة انها أصبحت الهة الامبراطورية في زمن السلالة الاكدية (٢٣٧١ ـ ٢٢٣٠ ق•م) وكان طبيعيا أن يخصها الاكديون بمثل هذه المنزلة فهم ساميون وعبادتها كانت شائعة بينهم في عصر مبكر جدا •

المتفرقة في قطعة ادبية محبوكة ومتجانسة • ويتجلى ابداعهم ايضا في انهم اكسبوا القطعة آفاقا جديدة وبعيدة ، وانهم اضفوا عليها متانة الاسلوب ،ودقة التعبير وجمال الوصف • على ان اهم ابداع جاء به الساميون في هذا المضمار انهم استطاعوا ان يجعلوا من القصص السومرية مما كتب حول كلكامش ومن القصص الشعبية مما كان متداولا بين القوم ، ملحمة ذات طابع انساني تدور حول مشكلة الانسان وتشبثه بخلود مستحيل • اما المرحلة الثالثة من مراحل تدوين الملحمة فانها جرت في العصر الكاشي في حدود ١٢٥٠ ق • م • ومن الراجح انه لم يحدث تغيير اساسي على الخطوط العامة للملحمة ، وان ما ادخل عليها كان في حدود التعديل والاضافات الجانبية • وهناك من يعتقد بان قصة الطوفان التي يتناولها الرقيم الحادي عشر في الملحمة ربما جرى ضمها الى الملحمة في هذا العصر • حول هذه القضايا المتعلقة بجذور الملحمة وتدوينها يراجع :

B. Landsberger, "Einleitung in das Gilgamesh-Epos", the VIIth. Recontre Assyriologique Internationale, Paris (1958), pp. 31-36.

وانظر في نفس المرجع ايضا مقالة الاستاذ كريمر بخصوص الاصول السومرية التي استمدت منها الملحمة مادتها :

Kramer, "Gilgamesh: Some new Sumerian data", pp. 59-68.

ويذكر الملك سرجون الاكدي في خلال حديثه عن قصة حياته[٧٠] ان الالهة عشتار أحبته عندما كان يعمل فلاحا ذات يوم وانها أعطته الملوكية ليحكم في البلاد[٧١] • ويبدو ان ادعـــاء بعض الملوك بتسلم مقاليد الحكم من الالهة عشتار بقي تقليدا ساريا خلال الفترات التالية • فبعد مضي ما يقرب من خمسةقرون على اندثارالامبراطورية الاكدية تشاهد الملك زمريلم (Zimrilim ١٧٧٩ ـ ١٧٦١ ق•م) في مدينـة ماري وهو يتسلم شارات الحكم من الالهة عشتار • فقـــد كشفت التنقيات في قصر هذا الملك عن رسومات جدارية بالألوان يصور واحد منها مراسيم تتويج الملك[٧٢]• والمشهد الذي نحن بصدده الآنجزء من منظر كبير ينقسم الى عدة حقول • ويظهر في الحقل الوسطي ، ضمن اطار مستطيل ، الالهة عشتار بشكل فتاة شابة وبزي الهة الحرب وهي تقدم بيدها اليمنى شـارات الحكم ـ العصـــا والحلقة ـ الى الملك بينما تمسك بيدها الاخـرى

---

(٧٠) يهمنا من هذه القصة التي تشبه في اطارها العام قصة مولد موسى ما ذكر على لسان مـرجون قوله ان امـــه كانت enetu وانـه لـذلك «لايعرف» اباه وترجـح آخـر البحوث المسمارية (CAD, vol. 4, p. 172) ان هذه الكلمة عبارة عـن صيغة ثانيـة للكلمة البابلية entu بمعنى «الكاهنـة العظمى» (High Priestess)

والحقيقة فان لهذا التفسير ما يبرره • اذ من المعروف عن الكاهنة « انتو » انها كانت تقيم في جناح خاص بها في المعبد وانهـا كانت تعتبر زوجة الاله من الوجهة الدينية • لذلك كان لزاما عليها التعفف والابتعاد عن كل الشبهات وقد فرضت القوانين عقوبة صارمة على كل مـن يأتي بتهمة باطلة ضدها • ويفهم مـن الوثائق المسمارية المتعلقة بالكاهنة العظمى انه لم يكن يسمح لها بالزواج الا في بعض الحالات النادرة وانها اذا ما تزوجت فليس لها عندئذ أن تنجب الاطفال • والتفسير الراجح لهذا الشرط انه ربما كان يسمح لها بالزواج بعد انهائها الخدمـــة الكهنوتية وهي فترة طويلة تكون بعدها الكاهنة قد ادركت سن اليأس • لهذا كله فانه من المرجح ان ام سرجون الاكدي كانت كاهنة كبرى في احد المعابد (وربما الخاصة بالالهة عشتار) وانهـــا كانت مجبرة بحكم مركزها الديني على التخلص من طفلها (سرجون) بعد ان حملت به بصورة غير شرعية •

(٧١) للاستاذ كونتينو تعليق طريف بهـذا الخصوص ، فهو يقول : « من الطبيعي عندما يكون مغتصب الحكم من أصل غير معروف ان يتغاضى اعوانه عن الاشارة الى اصله وان يذكـر هو من جانبه بان الالهه عشتار قد فوضته الحكم كما فعل ذلك على سبيل المثال الملك سرجون الاكدي (Everyday Life in Babylonia and Assyria, p. 118).

واذا كان مثل هذا القول ينطبق صدفة على سرجون الاكدي الذي توجد علامة استفهام حول أصله ، فانه من غير الضروري بطبيعة الحـال الشك في انساب غيره من الملوك الذين ادعوا برعاية عشتار واختيارها لهم على الرغم من ان اسم هذه الالهة يقترن كما هو معروف ببغايا المعبد • ويذكرنا قول سرجون بما قاله الملك الحثـي حتـوشلس الثالث (١٢٧٥ ـ ١٢٥٠ ق•م) بعده بالف عام عن حب ورعاية الالهة عشتار له : « واخذني ابي عندما كنت طفلا ووهبني لخدمة الالهة ••• وذات مرة عندما كنت مريضا رأيت سيدتي الالهة وانا في مرضي • وكانت سيدتي الالهة تأخذ بيـدي دائما وفي كل مناسبة • ولانها اهتمت بي كثيرا ولانني كنت دائما اطيع ارادة الالهة فانني لم اسلك قط سلوك الآثمين من الناس (Ceram, The Secret of the Hittites, English edition, 1959, p. 185).

وبهذا الصدد نذكر ايضا ما قالـه الملـك الاشوري سنحاريب (٧٠٤ ـ ٦٨١ ق•م) بان الالهة عشتار قد اختارته عندما كان في رحم امه •

(٧٢) انظر : Parrot, Sumer, fig. 346.

السيف المقوس وتضع احدى قدميها على أسد • ويظهر الملك زمريلم واقفا أمام الالهـــة عشتار وهو يتسلم الشارات بيده اليسرى بينما يرفـــع اليـــد اليمنى في حركة تقليدية تحية واجـلالا للالهة •

وتردد اسم الالهـــة عشتار في أكثر من مناسبة في الرسائل الدبلوماسية من تل العمارنة التي يعود تاريخها الى الفترة الواقعة بين بدايـة القرن الخامس عشر ومنتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد[٧٣] • ويظهر بوضوح من بعض هذه الرسائل ان شهرة الالهة عشتار وبعض المعتقدات الخاصة بها كانت قد وصلت في هذا الزمن الى اقطار بعيدة عن وادي الرافدين • ونذكـر من ذلك رسالة بعثها الملك الميتاني تشرانا الى الفرعون امنوفس الثالث (١٤٠٥ – ١٣٦٧ ق•م) • ومن الطريف ذكره ان الفرعون كان قد اصيب بتقيح مؤلم في أسنانه فسارع الملك الميتاني الى ارسـال تمثال الالهـــة عشتار لتشفيه من مرضه[٧٤] •

ونفهم من هذه الرسالة ان زيارة الالهة عشتار لمصر لم تكن الاولى اذ سبق وأن كانت هناك في زمن أحد أسلاف تشرانا • ويبدأ الملك الميتاني رسالته بفاتحة مطولة من التحيات يسأل فيها عن حال الفرعون وزوجته وأبنائه وخيوله وعرباته ثم يقول : « هكذا تقول عشتار نينوى ، سيدة البلدان : سأذهب الى مصر البلاد التي أحبها ••• واعلم انني أرسلتها وانها قد جاءت (في طريقهـا اليكم) • واعلم ان السيدة كانت قد ذهبت الى تلك البلاد في زمن أبي ••• ومثلما كرمهـــا (الناس) عندما نزلت هناك في المرة السابقة ، عسى أن يكرمها أخي عشر مرات أكثر من الأيام السابقة وأن يرعاها بمودة و (من ثم) يرجعها • وعســـى أن تحفظ عشتار ســـيدة السماء أخي وتحفظني مئة ألف عام وعسى أن تعطي هـــذه الالهة لكلينا صداقة متينة • ان عشتار بالنسبة لي هي الهتي ، أما بالنســـبة لأخي فهـــي ليست الهتـه »[٧٥] •

---

(٧٣) عثرت فلاحة مصرية عام ١٨٨٧ عـلى عدد من رقم الطين في تل العمارنة ، عاصمة الملك اخناتون (١٣٦٧ – ١٣٥٠ ق•م) وقد تبين فيما بعد ان تلك الرقم كانت جزءا من مجموعة كبيرة بلغ عددها ما يزيد على ٣٧٠ رقيما وان اغلبيتها رسائل تعود الى الملك امنوفس الثالث وابنـــه اخناتون • ولرسائل تل العمارنة هذه اهميـة بالغة من الوجهة التاريخية لانها تسلط الاضواء على الاحوال والعلاقات السياسية في منطقة الشرق الادنى القـديم في فترة القرن الرابع عشر قبل الميلاد خاصة وان تلك المراسلات كان قد تبادلها ملوك وامراء وحكام دول عـديدة مثل الكاشيين الميتانيين والحثيين والسوريين والمصريين • وقد كتبت رسائل العمارنة بالخط المسماري وباللغة الاكـــدية • ويدل هذا بوضـــوح على ان الخط المسماري والاكدية قد أصبحا من وسائل الاتصال الدبلوماسية بين بلدان الشرق القديم • ويثبت عدد من هذه الرسائل ، ومنها رسالة تشـــرائا المشار اليها في أعلاه ، ان بعض المعتقدات الدينية قد تسربت من وادي الرافدين الى أقطار اخـرى بعيدة • وأخيرا فاننا نفهم من رسائل العمارنة بأن التزاوج بين العوائل المالكة وتبادل الهـدايا بين الملوك كانت من الوسائل المفيدة لتعـــزيز السلم بين دول الشرق الادنى القديم •

(٧٤) من التعليقات الطريفة بهذا الخصوص ما قاله الاستاذ Hayes (في كتابه : The Scepter of Egypt, vol. II, p. 209). ان زيارة الالهـة عشتار للفرعون المريض كانت مفيدة بدليل انه كان مايزال حياً بعدها بسنتين•

(٧٥) يبدو من الاسطر الاخيرة من هـذه الرسالة ان الملك الميتاني كان دبلوماسيا بمعنى الكلمة • فهو يعـــرف ان عشتار كانت معبودة

ان ارسال تمثال الالهة عشتار من نينوى في بلاد آشور على يد الملك الميتاني يعزى الى أن بلاد آشور كانت خاضعة الى حكم الميتانيين لفترة قرن من الزمن (حوالي ١٤٠٠ – ١٣٠٠ ق٠م) ومما يجدر التنبيه اليه ان عبادة الالهة عشتار في هذا الجزء الشمالي من وادي الرافدين تعود الى زمن قديم يسبق هذا التأريخ بكثير • فقد كشفت التنقيات في العاصمة القديمة آشور عن معبد لهذه الالهة يعود تاريخه الى عصر فجر السلالات مما يدل على وصول عبادتها الى هناك من الجنوب في عصر مبكر جـــدا • وقد قام الملوك الآشوريون بصيانة وتجديد هذا المعبد في أزمان متلاحقة • وكان أشهر من أســـهم في تلك الأعمال الملك **الآشوري توكلتي نورتا الاول (١٢٤٤–١٢٠٨** ق٠م) الذي أعاد بنـاء المعبد على نفس مخططه القديم تقريبا مع بعض التغييرات التي كان من أهمها ابراز تمثال الالهـة الى مستوى أعلى مما كان عليه في السابق حيث وضع في نهاية سلسلة من المدرجات وتحت مظلة أشبه ما تكون بغرفـة منفصلة • واعتزازا من هـــذا الملك بانجازاته المعمارية في معبد الالهة عشتار فانه خلدها بدونة بالآشورية على ثلاثة ألواح كان اثنان منهـــا من الذهب •

من المعروف عن الالهة عشتار ، كما ذكرنا ذلك في موضع سابق ، انها اشتهرت في بلاد آشور بكونها الهة للحرب وان الأسد كان من رموزها المشهورة بهذا الصدد[٧٦] • ومن الملاحظ أيضا ان ذكر الالهة عشتار يرد في الكتابات الآشورية مقرونا بصفات وأسماء مدن متعددة نذكر منهـا على سبيل المثال : « عشتار نينوى، عشتار اربيل ، عشتار بيت كتموري ، **عشتار دينيتي ، عشـــتار انوناتي** »[٧٧] ••• وربما يستنتج من أمثال هذه التسميات التي ترد أحيانا في نص واحد ان عشتار كانت تعبد تحت مظاهر مختلفة في المراكزالدينية المحلية • ومما يدعو الى الاستغراب حقا انه على الرغم من الأهمية الواضحة للالهة «عشتار نينوى» عند الآشوريين ، بدليل كثرة الاشارات اليها في النصوص الآشورية ، فاننا ما زلنـا نفتقر الى ما يلقي الأضواء على عبـــادتها ونقصـد بذلك الى النصوص الدينية والطقسية المتعلقة بها •

وبقي اسم الالهة عشتار بارزا بعد انهيـار الامبراطورية الآشـــورية أي في فترة العصـــر

أجنبية بالنسبة للفرعون المصري الذي كانت له ديانته وآلهته • ولذلك فقد أراد أن يلمح لـه بأن كلما جاء في رسالته انما ينبعث من ايمانه الشخصي بها فقط وانه لا يتوقـع من الفرعون مشاركة في ذلك (حول هذه الرسالة في مجموعة رسائل تل العمارنة انظر :

Knudtzon, Die El-Amarna Tafeln, vol. I, p. 178, letter no. 23).

(٧٧) مما تجدر الاشارة اليـــه ان الملك الآشوري آشور ناصربال الاول (١٠٤٩–١٠٣٠ ق٠م) كرس للالهة عشتار تمثال أسد في مدينة كالح وقد كتب عليه نصا يتضمن الاهداء مـــع دعاء مطول على لسان الملك يعـــدد فيه صفات وخصائل عشتار باعتبارها الهة للحرب والحب:

Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, vol. II, p. 62.

(٧٧) الاسماء الثلاثة الاولى بعـــد عشتار تدل على أمكنة • أما بخصوص الاثنين الباقيين فيراجـــع القـــاموس الآشـــــوري (CAD) تحت (Anutu, dinu)

البابلي الحديث (٦٢٥ ـ ٥٣٩ ق٠م) ٠ وكدليل على أهمية الالهة عشتار في هذا العصر نذكر على سبيل المثال ان اسمها اطلق على واحدة من أشهر بوابات العاصمة بابل وهي البوابة الشمالية الغربية التي تعرف اليوم ببوابة عشتار والتي سماها البابليون أنفسهم بـ « عشتار قاهرة أعدائها » (Ishtar Shakipat tebisha) والتي قدر لها أن تكون من الآثار الشهيرة والخالدة في حضارة وادي الرافدين(٧٨) ٠ وقد كان لبوابة عشتار أهميتها من الوجهة الدينية لسكان مدينة بابل لانها كانت المكان الذي تنطلق منه مواكب الاحتفالات بمناسبة رأس السنة وهي تمر في شارع الموكب لنعرج من بعد ذلك الى قطاع معبد مردوخ، اله مدينة بابل ٠ أما من الوجهة الفنية فان بوابة عشتار تعتبر بحق من روائع الفن العراقي القديم وخاصة في زخارفها الحيوانية البارزة والملونة(٧٩) ٠

---

(٧٨) بوابة عشتار موجودة الآن في متحف برلين حيث نقلتها البعثة الالمانية التي نقبت في بابل باشراف كولدوي بين سنة ١٨٩٩ واندلاع الحرب العالمية الاولى ٠ وثم نقل هذه البوابة بعد تجزئتها الى قطع صغيرة بلغت حمولتها ٦٤٩ صندوقا ٠ وقد وصلت آخر مجموعة من تلك الصناديق الى برلين عام ١٩٢٧ حيث اعيد بناؤها مجددا وفق المخطط القديم ٠

(٧٩) بنيت بوابة عشتار ، التي يبلغ ارتفاعها ٤٧ قدما بالآجر المزجج وزينت برسوم حيوانية بارزة على الآجر المطلي باللون الازرق ، وتمثل هذه الرسوم حيوان التنين والثور في صفوف متناوبة ٠ ومن المعروف ان الاول كان يرمز الى الاله مردوخ أما الثاني فانه يرمز الى الاله ادد ٠ وتتجلى الروعة في رسومات الحيوانات هذه في دقة التعبير وتناسب الالوان ـ فجسم التنين مطلي باللون الابيض اما لساته البارز ومؤخرته ومخالبه فانها باللون الاصفر ٠ ورسوم الثيران مطلية باللون البني الداكن في حين طليت أظلافها وقرونها باللون الاخضر ونهايات ذيولها بالازرق ٠